تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com

المديرالمسؤول : د. عبد العلي حجيج | 28 جمادى الأولى 1436 هـ - 19 مارس 2015م | العدد 436

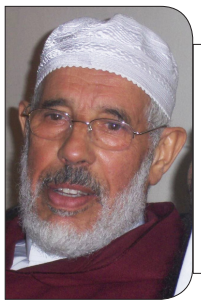

ترقبوا عددا خاصا عن الدكتور عبد السلام الهراس رحمه الله تعالى

العلم شرط صحة

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص 6

افتتاحية

في حاجة الأمة إلى الأمن الأخلاقي

جاءت شريعة الإسلام بإعلاء شأن الإنسان ورفعه إلى مستوى لم تصله الإنسانية من قبل ولا من بعد، إعلاء في الكرامة، وضمانا للحقوق، وإرساء لمبادئ السلم الاجتماعي، وإقرارا لقواعد المعاملة الإنسانية المثلى، أفرادا وجماعات، وقبائل وشعوبا، دولا وأمما...

ولا يخفى على حصيف، ولا على عالم شريف، قيمة ما أقرته الشريعة الإسلامية من إجراءات لحماية الأنساب، وصيانة الأعراض مما يمكن أن يلحقها من مفاسد وأمراض من ذوي النفوس العليلة بالأسقام والأمراض، المتعفنة بداء الشكوك والشبهات، والأهواء والشهوات.

ولا يخفى على مسلم هذه الهجمات المتلاحقة من قبل كثير من دعاة الحرية، ودعاة السير في ركب التبعية في مجالات التدبير السياسي والاقتصادي والاجتماعي وفي مجال الأسرة والمرأة وحقوقها وإن كانت تخالف أصول الدين وتقضي على ما بقي في الأمة من خيرية وحقائق تلقاها علماؤنا بالاستحسان والقبول وسلمتها العقول بقوة الحجة والدليل.

ومما يدخل في هذا مما يخالف الدين وثوابت الأمة الدعوة إلى الحرية الجنسية، والشذوذ، وتشريع قوانين تبيح الفساد وتحمي المفسدين، وتترك أبناء الأمة من حملة الخير والقيم عراة من غير وقاية، وفريسة أمام المفسدين المالكين لوسائل الدعم والحماية.

ولقد دأبت جهات التغريب في بلداننا الإسلامية على اتخاذ كثير من المناسبات العالمية مطية لرفع سلطان المواثيق الدولية فوق الرؤوس من غير قيود، ولا مراعاة لما في ديننا من ضوابط وحدود، وفرصة للنيل من المقدسات وتحطيم ما لدى الأمة من ثوابت وخصوصيات فأصبحت الإساءة إلى الدين وإلى الآخر حقا من حقوق التعبير، وما هو إلا تهديد للسلم الاجتماعي وتمهيد لكل أشكال الفتنة والفساد والتدمير.

وأصبح الشذوذ الجنسي، ورذيلة الزنا حرية تداس بها كرامة المرأة، وتسلب بها شهامة الرجل، ويُهدد بها النسل الإنساني ويُرمى بالبشرية في أتون الأمراض القاتلة، وصار الحق في ممارسة هذه الفواحش إجهاضا صريحا لحق الفئة العريضة في الأمة في الأمن الأخلاقي.

فما هو الحل؟ وما هو المخرج؟

أهو نشر الرذيلة في الإعلام والواقع ثم تشريع القوانين الضامنة للحرية الجنسية؟ أم هو الالتزام بالقواعد الشرعية في الإعلام ومؤسسات المجتمع العامة والخاصة وإشاعة روح الأخلاق والفضيلة الضامنة للحياة الكريمة للجميع؟ إن أمتنا محتاجة إلى الإجراءات الواقية من جرائم الفساد بكل أنواعه. فمعالجة مظاهر الفساد لا تقتضي الإقرار به والتطبيع معه وإلا فيصير لكل صاحب جريمة الحق في المطالبة بتقنين جريمته والاعتراف بها وتبريرها (الرشوة الخيانة، السرقة، القتل...) !!

تتمة ص 2

وقفات مع سورة العصر

ص 2

«اتق الله حيث ما كنت...»

ص 3

أثر التربية في الإصلاح الاجتماعي

ص 9/8

فضيلة الشيخ الأستاذ عبد الله بلمدني

كعب بن زهير ولاميته «بانت سعاد»

ص 12

العلاقة بين الرجل والمرأة كما يريدها الله عز وجل

ص 13

مواقع التواصل الاجتماعي وآداب الحوار

ص 7

حقوق المرأة المسلمة

ص 11

وقفات مع سورة العصر

ذ. محمد بوهو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

العصر ١٠٣: ١-٣

صدق الله العظيم

أمرَنَا اللهُ سبحانَهُ أَنْ نقرأَ القرآنَ الكريمَ، ونفهَمَ معانيَهُ، ونتدبَّرَهُ لنُدرِكَ مراميَهُ، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: 29) ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24).. فالمتدبر لآيات القرآنَ العظيم لهو في خير كبير؛ إذ يزداد إيمانه، ويتضح له الطريق الموصل إلى الله تعالى وإلى جنته، وبأي شيء يطلبها، ويستبين له طريق النار وبأي شيء يحذرها، أما من أغفل كتاب الله وهجره فما له من ذلك الخير من نصيب.

ومن السور التي نقرؤها مرارا وتكرارا وأكثر الناس في غفلة عن معانيها سورة العصر والتي حَوَتْ في طياتهَا كثيراً مِنَ المعاني الإيمانية، والفوائد التربوية والسلوكية، يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الانسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: 1 – 3). قال عنها الشافعي رحمه الله: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم»؛ وما ذلك إلا لما احتوته هذه السورة من بيان لأصول الدين وفروعه، وبيان لسبيل المؤمنين المؤدي للربح والفوز بالجنة والنجاة من النار، وقد كانَ الصحابةُ الكرامُ رضيَ اللهُ عنْهُمْ يقرؤونَهَا إذَا الْتَقَوْا أو افترقوا.

افتتحَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذه السورةَ بالقَسَم، فقالَ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ وهوَ الزمَنُ الذي تَقَعُ فيه أعمالُ بني آدمَ، وهذا يدل على عظم الوقت وأهميته، وشرف الزمان وعُلوِّ قيمته، فالوقتُ مِنْ أَنْفَسِ النِّعَمِ التي أَنْعَمَ اللهُ سبحانَهُ بهَا على النَاس؛ لأنَّهُ ميدانُ سعيهِمْ، ومضمارُ سبْقِهِمْ، والرابحُ مَن اغتنمَ وقْتَهُ، وصانَ مِنَ الزللَ نفسَهُ، والخاسرُ مَنْ فرَّطَ في الزمن، فكُنْ يَا عبدَ الله ممَّنْ أحْسَنَ اغتنامَ وقته وعُمره بالخير والعمل، ولا تُضيِّع الوقتَ وإنْ كانَ قليلاً، فهُوَ إمَّا لكَ أوْ عليكَ، قال اللهُ تَعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7، 8).

وقَدْ بيَّنَت السورةُ أنَّ الناسَ فريقان: فريقٌ يلحَقُهُ الخسرانُ، وفريقٌ ناجٍ مِنَ الخذلانِ، فمَنْ وفَّقَهُ اللهُ تعالى جعَلَ الوقتَ عوناً لَهُ في حياته، فأحْسَنَ استثمارَهُ في اكتساب أُمور منْهَا: الإيمانُ بالله تعالى، قَالَ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الانسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (العصر: 2 – 3).

فالإيمانُ هوَ الركنُ الذي لا غنَى عنْهُ للإنسَان، وهوَ أساسُ الفرَح والأمان، وبابُ السرور والاطمئنان، ولا يقبَلُ اللهُ تعالى مِنْ إنسان عملاً، ولا يُثبتُ لهُ أجراً، مَا لَمْ يكُنْ عملُهُ نابعاً مِنَ الإيمان بالله تعالى، وحقيقَتُهُ التسليمُ والخضوعُ لله عزَّ وجلَّ، وامتثالُ أمره، والرضا بقسَمه، قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد رَسُولاً» ولا يكون الإيمان بالله إلا بمعرفة ربوبيته عز وجل، وأنه الخالق الرازق المدبر لهذا الكون، وألوهيته وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، وأسمائه وصفاته، ومعرفة رسوله ﷺ المعرفة التي تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتقديم حبه على النفس والمال والولد، ومعرفة دين الإسلام. وذلك بتعلم أحكامه وتعاليمه ومن ثم العمل بها، فمن عرف ذلك فقد آمن وصدق، ومن خالف وأعرض فهو المتصف بالخسارة.

> **«بالأمرين الأولين -الإيمان والعمل الصالح- يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين -التواصي بالحق وبالتواصي بالصبر- يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون الإنسان قد سلم من الخسار وفاز بالربح العظيم».**

ومِنَ الإيمانِ باللهِ استثمارُ الجوارحِ في عملِ الطاعاتَ والقُربات، ولِذَا أردفَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى عملَ الصالحات بعدَ ذكْرِ الإيمانِ فَقالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهوَ جوهر العبادة وأساسها، فالعمل الصالح شامل لأفعال الخير كلها الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده الواجبة والمستحبة. والعمل الصالح من لوازم الإيمان بالله، فكلما زاد عملك زاد إيمانك، وكلما قل عملك قل إيمانك، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وبعض الناس يظن أنه يكفي مجرد الإيمان في القلب ولا حاجة للعمل، وهذا باطل، بل الإيمان مقترن بالعمل، والعمل دال على الإيمان، فمن صلح باطنه بالإيمان صلح ظاهره بالعمل الصالح، ومن فسد باطنه ونقص إيمانه فسد ظاهره وترك العمل، فلا تجد الإيمان في القرآن إلا وهو مقرون بالعمل الصالح، وهذا كثير لمن تأمل وتدبر.

ولا تكتملُ نجاةُ الإنسانِ وبُعدُهُ عَنْ أهْلِ الخسرانِ إلاَّ بالتواصي بالحقِّ معَ أهلِ الإيمان، قالَ تعالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ (العصر: 3) والحقُّ هوَ لزومُ العملِ بكتاب الله تعالى، وامتثالُ أمره، واجتنابُ نَهْيه، فيوصي المرءُ أهلَهُ وأرحامَهُ، وأقاربَهُ وجيرانَهُ، وأصدقاءَهُ وأحبابَهُ، ويدلُّهُمْ على الطاعات، ويُعينُهُمْ على فعْل الخيرات، ويُرغِّبُهُمْ في نَيْل الحسنات، فمَن استثمَرَ وقتَهُ في هذه الأعمال، ودعَا الناسَ لاكتساب جميلِ الخصال أكرَمَه اللهُ تعالَى بالخير في الحال، وأثابَهُ بالأجر عندَ المآل، قالَ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

وخاتمةُ صفات أهل النجاة التواصي بالصبر قالَ تعالَى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: 3) والصبرُ خُلُقٌ رائعٌ نَفيسٌ، ويعني حملَ النفْس علَى لزوم الطاعة وكفِّهَا عَنِ المعصية واحتمال المصَائب وعدم التسخط عندها، ومَنْ رُزِقَ الصبرَ أعْطاهُ اللهُ خيراً كثيراً، وجعلَ العسيرَ عليه يسيراً، قَالَ ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»، وقالَ أيضا: «إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فيه مثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ:« أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» فالتخَلُّقُ بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلِّهَا، فمَنْ حازَهُ جمعَ الخيرَ كلَّهُ، قالَ تعالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: 10). قال العلامة ابن سعدي رحمة الله تعالى عن وصايا سورة العصر: «فبالأمرين الأولين يكمل الإنسان نفسه -أي: بالإيمان والعمل الصالح-، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره -وهما التواصي بالحق وبالتواصي بالصبر-، وبتكميل الأمور الأربعة يكون الإنسان قد سلم من الخسار وفاز بالربح العظيم».

إن هذه السورةَ جليلةُ القدر عظيمة المعنى، ولهذا نقول ما قاله الشافعي رحمه الله فيها: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم».

تتمة الافتتاحية

وهل الحل في سد ذرائع جريمة الزنا ومنع مقدماتها وأسبابها، والضرب على يد الزناة والشواذ أم في تقنين الحق في الممارسة الجنسية الحرة من غير حدود ولا قيود؟ وهل الحل في حماية المجتمع والأمة أم في حماية مرتكبي هذه الفواحش وترك المجتمع يسقط ضحية روح انتقام مرضى النفوس وحاملي الأمراض المتنقلة جنسيا كالسيدا لإجهاض حق الآخرين في الحياة الآمنة الكريمة والسليمة؟ أهو الضرب على يد الزانية أم تبرير الجريمة تحت مسميات واهية من أجل التملص من كل المسؤوليات؟

إن تخويل الحق في الإجهاض، هو في نفس الوقت إجهاض لحق الجنين في الحياة، وليس تخويل الحق لكل مجرم ومفسد في فعل جريمته إلا حرمانا للقسم الأكبر والأعقل في المجتمع من حقهم في العيش الكريم، وغصبا لحقهم في الحياة الرشيدة العاقلة، وإجهاضا لحقهم في الحرية والاختيارات السديدة الفاضلة.

لقد سرنا في معالجة واقع الأمة وما فيها من فساد سيرا أعوج، سينتهي لا محالة إلى فوضى كبيرة وإلى مزيد من صب الزيت على النار، فالإسلام وهو يضع الحلول لمحاربة الفساد ويسطر القواعد للإصلاح وضع الوسائل المناسبة والإجراءات الصائبة للعقول السليمة والفطر القويمة، وعلى رأسها:

- **أولا**: زرع قيم الخير والعدل والفضيلة في النفوس، والتربية على ذم الظلم والرذيلة.
- **ثانيا**: التدرج في معالجة السلوك الفاسد من الطفولة بالتربية الصالحة.
- **ثالثا**: منع كل الذرائع والأسباب المؤدية إلى الفساد بكل أنواعه الظاهر منها والباطن، الفردي منها والجماعي (من باب الوقاية خير من العلاج)
- **رابعا**: في حالة وقوع الجريمة والتلبس بها والتحقق الشرعي من وقوعها فإن المشرع يتدخل مباشرة في تنفيذ أحكام الشرع؛ كل جريمة وما يناسبها من عقوبة حسب حجم الضرر المترتب حتى لا تنتشر الفاحشة ويعم الفساد.

لذلك فواجب الأمة وأصحاب القرار فيها العمل على تحصين الأمة من كل عوامل الفساد وسد كل المنافذ والطرق المفضية إليه، ومعالجة الحالات الحاصلة بعد ذلك بما يقتضيه المقام.

وإن تحقيق الأمن الأخلاقي أمانة في عنق جميع أفراد الأمة كل على قدره وحجمه، ويرجى من المؤسسات الإعلامية والتعليمية والاقتصادية والسياسية والقضائية أن تتحمل مسؤوليتها وتقوم برسالتها في تحقيق الأمن الأخلاقي الذي هو جزء لا يتجزأ من منظومة الأمن العام، ورحم الله من قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

«اتق الله حيثما كنت...»

ذ. عبد العزيز شاكر

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت. وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" رواه الإمام أحمد والترمذي.

هذا حديث عظيم جمع فيه رسول الله ﷺ بين حق الله تعالى وحقوق العباد. فحقّ الله على عباده: أن يتقوه حقّ تُقاته. فيتّقوا سخطه وعذابه باجتناب المنهيات وأداء الواجبات. وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: "وإذا أسأت فأحسن". عن أبي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله علمني عملا يقربني من الجنة ويباعدني من النار. قال إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها.

● **التقوى دلالات ومجالات**

فتقوى الله هي وصية الله للأولين والآخرين، ووصية كل رسول لقومه أن يقول: ﴿اعبدوا الله واتقوه﴾. وتقوى الله أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه. قال تعالى: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾. فهو سبحانه أهل أن يُخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده، حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس. ويدخل في التقوى فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات. وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات وهي أعلى درجات التقوى. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ليس تقوى الله تعالى بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك. ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله. فمن رُزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير.

والتقوى أيضا أن يعلم العبد ما يتقي، لأنه كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتقي. قال معروف الكرخي: إذا كنت لا تحسن أن تتقي أكلت الربا، وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك.

وقد ذكر الله خصال التقوى في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ثم ذكر خصال التقوى فقال: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فوصف المتقين بالإيمان بأصوله وعقائده وأعماله الظاهرة والباطنة، وبأداء العبادات البدنية والعبادات المالية، والصبر في البأساء والضراء وحين البأس، وبالعفو عن الناس، واحتمال أذاهم والإحسان إليهم، وبمبادرتهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بالاستغفار والتوبة. فأمر ﷺ ووصى بملازمة التقوى حيثما كان العبد في كل وقت وكل مكان، وكل حالة من أحواله، لأنه مضطر إلى التقوى غاية الاضطرار، لا يستغني عنها في كل حالة من أحواله.

● **إتْباع السيئة الحسنة : معان وأهمية**

ثم لما كان العبد لا بد أن يحصل منه تقصير في حقوق التقوى وواجباتها أمر ﷺ بما يدفع ذلك ويمحوه. وهو أن يتبع الحسنة السيئة، "والحسنة" اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله تعالى.

قال ابن رجب: لما كان العبد مأمورا بالتقوى في السر والعلانية مع أنه لا بد أن يقع منه أحيانا تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات، أمره بأن يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أن يُتبعها بالحسنة. قال الله عز وجل: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾.

وقوله "وأتبع السيئة الحسنة" قد يراد بالحسنة التوبة من تلك السيئة. وقد ورد أن النبي ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال: "يا معاذ اتق الله ما استطعت وإن أحدثت ذنبا فأحدث عنده توبة، إن سرًا فسر، وإن علانية فعلانية". وقد يراد بالحسنة ما هو أعم من التوبة كما في قوله تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾. وقال ﷺ: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة". فأثبت لهذه الأعمال تكفيرَ الخطايا ورفعَ الدرجات. وكذلك سيئاتُ التائب توبةً نصوحاً تُكفّرُ عنه وتَبقى له حسناتُه.

وإن من أعظم الحسنات الدافعة للسيئات التوبةَ النصوح والاستغفارَ والإنابةَ إلى الله بذكره وحبه، وخوفه ورجائه، والطمع فيه وفي فضله كل وقت. ومن ذلك الكفارات المالية والبدنية التي حددها الشارع.

ومن الحسنات التي تدفع السيئات: العفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق من الآدميين وغيرهم، وتفريج الكربات، والتيسير على المعسرين وإزالة الضرر والمشقة عن جميع العالمين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. وقال ﷺ: "الصلوات الخمس، والجمعةَ إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر". وكم في النصوص من ترتيب المغفرة على كثير من

> **قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله. فمن رُزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير.**

الطاعات. ومع هذا كله فالاعتماد على رحمة الله لا على العمل. قال أحدهم: لا تثق بكثرة العمل فإنك لا تدري أيُقبل منك أم لا، ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفرت عنك أم لا، إن عملك مغيب عنك كله.

ومما يكفر الله به الخطايا: المصائب؛ فإنه لا يصيب المؤمنَ من هَمٍّ ولا غم ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله عنه بها خطاياه. وهي إما فوات محبوب، أو حصول مكروه بدني أو قلبي أو مالي داخلي أو خارجي. لكن المصائب بغير فعل العبد. فلهذا أمره بما هو من فعله، وهو أن يتبع السيئة الحسنة.

● **الوصية بالخلق الحسن مع الناس، قيمته ومجالاته:**

ولما ذكر حق الله تعالى، وهو الوصية بالتقوى الجامعة لعقائد الدين وأعماله الباطنة والظاهرة، قال "وخالق الناس بخلق حسن".

قال ابن رجب: هذا من خصال التقوى ولا تتم التقوى إلا به. وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه. فإن كثيرا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله جل وعلا دون حقوق عباده، فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس. فإنه كان قد بعث معاذا إلى اليمن معلما لهم ومفقها وقاضيا، ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره مما لا حاجة للناس به ولا يخالطهم. وكثيرا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته، إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها. والجمع بين القيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده عزيز جدا لا يقوى عليه إلا الكُمَّل من الأنبياء والصديقين. عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما من شيء يوضع في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة".

– قال ابن سعدي: وأول الخلق الحسن أن تكف عنهم أذاك من كل وجه، وتعفو عن مساوئهم وأذيتهم لك، ثم تعاملهم بالإحسان القولي والإحسان الفعلي.

– وأخص ما يكون بالخلق الحسن: سعة الحلم على الناس، والصبر عليهم، وعدم الضجر منهم، وبشاشة الوجه، ولطف الكلام، والقول الجميل المؤنس للجليس، المدخل عليه السرور، المزيل لوحشته ومشقة حشمته. وقد يحسن المزح أحياناً إذا كان فيه مصلحة، لكن لا ينبغي الإكثار منه. وإنما المزح في الكلام كالملح في الطعام، إن عدم أو زاد على الحد فهو مذموم.

– ومن الخلق الحسن: أن تعامل كل أحد بما يليق به، ويناسب حاله من صغير وكبير، وعاقل وأحمق، وعالم وجاهل. فمن اتقى الله، وحقق تقواه، وخالق الناس على اختلاف طبقاتهم بالخلق الحسن فقد حاز الخير كله؛ لأنه قام بحق الله وحقوق العباد. ولأنه كان من المحسنين في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله.

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الالكتروني: www.almahajjafes.net
البريد الالكتروني: almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة: حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف: 0535931113
الناسوخ: 0535944454
الإيداع القانوني: 1994-61
رقم الصحافة: 91/11
الترقيم الدولي: 3627-1113
الطبع: إكوبرانت
التوزيع: سابريس

نحو تحديد منهجي لعلم السيرة النبوية الكاملة (*)

3 . نسبة علمِ السيرة النبوية الكاملة (4)

علاقة علم السيرة النبوية الكاملة بالتاريخ:

د. يسري إبراهيم

يواصل الدكتور يسري إبراهيم في هذه الحلقة الحديث عن نسبة علم السيرة النبوية، ويخص علاقته بالتاريخ. فما هي علاقة علم السيرة بالتاريخ؟

التاريخ -لغة-: الإعلام بالوقت(1).

واصطلاحًا: علم يُبحَثُ فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته.(2)

وموضوعه: «الإنسان والزمان»(3)

والتاريخ في ظاهره- كعلم- يتناول الأخبارَ والحوادثَ وما يتعلَّق بها من قيام الدول وسقوطها، «وفي باطنه نظرٌ وتحقيقٌ وتعليل للكائنات ومباديها دقيقٌ، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقٌ؛ فهو لذلك أصيلٌ في الحكمة وعريقٌ، وجدير بأن يُعَدَّ في علومها وخليقٌ»(4)، فالتاريخ يتضمن تحديدًا زمنيًّا للحوادث والوقائع والحقب الزمنية طولًا وقصرًا، كما يتضمن تسجيلًا لخبرات الإنسان الشاملة عبر العصور المتعاقبة، وتفاعل الإنسان معها في مجالات سياسية، واجتماعية، وثقافية، وحضارية، وما يعقب هذا من استنباط مفاهيمَ وقيم يُنتفَعُ بها في الواقع والمستقبل.

وبناءً على ما ذُكر، وما تعارف العلماء عليه- في معنى السيرة- فقد ذهب جمهرةٌ منهم إلى أن السيرة النبوية علاقتها بالتاريخ علاقة الجزء بالكل، وأنها أخصُّ من علم التاريخ مطلقًا.

وما من شكٍّ أن كتبًا كثيرةً في التاريخ قد سلكت السيرة في مادتها، وأن ما يسمى بكتب التاريخ العالمي- وهي ما يؤرخ لبدء الخليقة حتى عصر مؤلف الكتاب- قد عُنيتْ- في الأغلب الأعمِّ- بالسيرة النبوية، ومصدر أحداثها باعتبارها حقبةً من حقب التاريخ العالمي.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن ابن إسحقَ أولُ مَن وضع- من المؤرخين المسلمين- نواةَ ما يُسمَّى بالتاريخ العالميِّ، بل إن مادَّتَهُ في السيرة النبوية هي التي تَشكَّلَ منها نمطُ التاريخ العالميِّ، وتأسست عليها بنيتُهُ عند المسلمين(5)

ومن أهمِّ مدونات التاريخ العالميِّ أو التاريخ الإسلاميِّ العامِّ: تاريخ الرسل والملوك، لابن جرير الطبري (310)، قال عنه ابن خلكان (681): «كان ثقةً في نقله، وتاريخه أصحُّ التواريخ وأثبَتُها»(6) وإن كان قد سُبق ببعض الكتب التاريخية كتاريخ خليفة بن خياط (240هـ)، والتاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (299)، ثم جاءت كتبٌ بعد الطبريِّ كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ.

وقد جرى فصلُ ما كُتبَ في السيرة من هذه الكتب، وأُعيدَ طَبعُهُ مستقلًا؛ لأهميته وتسهيلًا للاطلاع عليه.

ومع كونِ كثيرٍ من الباحثين في مبادئ العلوم وعلاقاتها يَذهبون إلى أن السيرة النبويَّة جزءٌ وفرعٌ من علم التاريخ، إلَّا أن السيرة النبوية الكاملة تبدو أعمَّ في مادتها من وجه؛ حيث إنها لا تستند إلى أحداث زمنية مرتبة فحسب، وإنما تمتدُّ إلى سياقات علمية تشريعية، وعملية سياسية، وتصرفات بشرية، وشمائلَ وخصائصَ ودلائلَ نبويَّةً، وفقه حَضاريٍّ عقديٍّ منهجيٍّ!

فهي أعمُّ من جهة استقصائها لجميع أحواله ﷺ وتصرفاته وما يستفاد ويُستنبَط من الآداب النبوية والفوائد المصطفوية، كما أن استمدادَ مادة السيرة يَستوعِبُ القرآنَ وأسبابَ نزولِه، والحديثَ وأسبابَ وروده، وكُتُبَ الشمائل والخصائص والدلائل وغيرها.

كما أن علم التاريخ أعمُّ من حيثُ امتدادُه الزمانيُّ والمكانيُّ- من غير شكٍّ.

رابعًا: علاقة علم السيرة النبوية الكاملة بالشمائل والخصائص والدلائل:

الشمائل علم يَعتني بذكر المرويات في بيان أوصاف النبيِّ ﷺ، وأخلاقه الكريمة، وعاداته وآدابه الجليلة، وسلوكه الشخصيِّ الخاصِّ والعامِّ، وهديه وسمته في جميع شأنه- زوجًا، وأبًا، قائدًا، ومجاهدًا، عالمًا، ومعلمًا، أخًا، وصاحبًا.

والشمائل مصنَّفَةٌ في كُتب أحاديثه ﷺ. وللمحدِّثين سبقٌ وفضلٌ في التصنيف فيها، ومن أوائل ما صُنِّفَ: كتابُ وهب بن منبه (200هـ)، فهو أولُ مَن صنَّف كتابًا جمع فيه الشمائلَ وأسماه:(صفة النبي ﷺ)، ثم علي بن محمد المدائني (270) في كتابه: (صفة أخلاق النبيِّ ﷺ)، ومن أشهر كُتُب الشمائل: كتابُ الترمذي (279): (الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية).

ثم تتابعت بعد ذلك كتبٌ كثيرةٌ ككتاب (الشفا) للقاضي عياض (544)، وكتاب: (الوفا بتعريف فضائل المصطفى) لابن الجوزي (597)، وكتاب: (الشمائل الشريفة) للسيوطي (911).

وهذه الكتب في الشمائل تقع مشتركةً بين علم الحديث الشريف من جهة، وعلم السيرة النبوية الكاملة من جهة أخرى، وهي جزء من كليهما، وعلاقتهما الخصوصُ والعمومُ المطلَقُ مع العلمين.

وأمَّا الخصائص فهو: العلمُ الذي يَعتني بذكر ما تفرَّدَ به النبيُّ ﷺ عن غيره، سواءً عن إخوانه الأنبياء، مثل: ختم النبوة به، أو على صعيد الأحكام التي اختصَّ بها دون سائر أمته، كالزيادة على أربع زوجات، أو ما اختصَّتْ به أُمَّتُهُ دونَ سائر الأمم، مثل: حلِّ الغنيمة لها، وأنها شاهدةٌ على مَن سبقها من الأمم، ونحو ذلك.

ومن أهم تلك المصنفات التي عُنيتْ بالخصائص: كتاب (غاية السول في خصائص الرسول ﷺ) لابن الملقن (804)، وهو موجَزٌ مقسَّمٌ على أساس فقهي.

ومنها: كتاب السيوطي (911) (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب)، والمعروف باسم: (الخصائص الكبرى).

وعلم الخصائص- أيضًا- يقع مشتركًا بين علوم الحديث والسيرة، وربَّما اتَّصَلَ بعلم الفقه والأحكام بسبب.

وأما علم الدلائل فهو علمُ علامات النبوة وآيات صدق الرسول ﷺ، وهو: علم يتضمن البشارات بنبوته من الكتب السابقة، وما أخبر به الكُهَّان والرُّهْبان من أمارات زمانه، وعلامات مكانه، وما ورد على لسانه من المغيبات التي حدثت في زمانه، وبعد زمانه ﷺ.

ومن أهم كتب الدلائل: (دلائل النبوة) للفريابي(301)، ومنها: (أعلام النبوة) للماوردي (450)، ومنها: (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة) للبيهقي (458)، وهو أوسعها وأشملها وأغزرها مادةً.

والدلائل كعلم نجده مبثوثَ المادة في كتب الحديث والسيرة، وربَّما اتصل بعلم العقيدة وكتاب النبوات منه بسبب- أيضًا- وهو- على كل حال- كسابقيه أخصُّ من علم السيرة النبوية الكاملة!

---

(1) الصحاح، للجوهري (1/418).

(2) المختصر في التاريخ، للكافيجي (ص32).

(3) الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التاريخ، للسخاوي (ص7).

(4) مقدمة ابن خلدون (ص4)، ط: دار إحياء التراث العربي.

(5) مصادر السيرة النبوية، د. ياسر نور (ص240).

(6) وفيات الأعيان، لابن خلكان (4/191).

---

* المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية الذي نظم بغاس أيام 26-27-28 محرم 1436 الموافق 20-21-22 نونبر 2014.

إشراقة

مفاسد التكلف

قال الله تعالى : ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ (ص : 86). قال ابن عاشور رحمه الله تعالى : التكلف : معالجة الكلفة، وهي ما يشق على المرء عمله والتزامه لكونه يحرجه أو يشق عليه، ومادة التفعل تدل على معالجة ما ليس بسهل، فالمتكلف هو الذي يطلب ما ليس له أو يدعي علم ما لا يعلم. فالمعني هنا، ما أنا بمدع النبوة باطلا من غير أن يوحي إلي، وأخذ من قوله : «وما أنا من المتكلفين» أن ما جاء به من الدين لا تكلف فيه، أي لا مشقة في تكاليفه، وهو معنى سماحة الإسلام، وهذا استرواح مبني على أن من حكمة الله تعالى أن جعل بين طبع رسول الله ﷺ وبين الشريعة تناسبا(1).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : نهينا عن التكلف، رواه البخاري.

الحديث رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من رواية أنس رضي الله عنه قال : «كنا عند عمر رضي الله عنه فقال : نهينا عن التكلف» وليس عن ابن عمر، وبوب له : باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه، وسبب وروده أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى : ﴿وفاكهة وأبا﴾ ما الأبُّ؟ فقال عمر : «نهينا عن التعمق والتكلف» (2).

فهذا هو التكلف وهو الخوض فيما لا يفيد، أو ما لا تنبني عليه مصلحة تذكر، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد ﷺ ... ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم.

وقد جاء رجل إلى شعبة رضي الله عنه فقال : يا أبا بسطام حدثني بحديث حماد عن إبراهيم أنه قال : لأن يلبس الرجل في طلب العلم نعلين زمامهما من حديد فلم يجبه، فقال الرجل : أتيتك من المغرب من مسيرة أشهر. فقال : ألا تعجبون من هذا جاء من مسيرة ستة أشهر يسأل عن حديث لا يحل حراما، ولا يحرم حلالا، أكتبوا حدثني قتادة عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها» فقال له : إذا سألت يا أخا أهل المغرب فسل عن مثل هذا، وإلا قد ذهبت رحلتك باطلا.

وعن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال : يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم، فليقل : الله أعلم فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين﴾ رواه البخاري.

إن التوقف وعدم التكلف دليل على سلامة الفهم، ورجاحة العقل، فإذا عرضت المسألة على الداعية واشتبه عليه الأمر فيها فلا يستنكف أن يقول : لا أدري، ولا يتكلف ما لا يعرف، قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا أخطأ العالم أن يقول : لا أدري فقد أصيبت مقاتله.

وقد كان كبار العلماء يقولون : لا أدري غير مستوحشين. فقد سئل مالك رضي الله عنه عن مسألة فقال للسائل : لا أدري، فقال الرجل : أذكر أنك لا تدري، قال : نعم احك عني أني لا أدري.

وكان يقول : من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب.

قال ابن جماعة رحمه الله تعالى: واعلم أن قول المسؤول: لا أدري لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة، بل يرفعه، لأنه دليل على عظم محله، وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته، وحسن تثبته، وإنما يأنف من قول: لا أدري من ضعفت ديانته، وقلت معرفته، لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين وهذه جهالة ورقة دين. انتهى

وقال الآجري رحمه الله تعالى : وما الحجة لعالم يسأل عن شيء لا يعلمه فلا يستنكف أن يقول لا أعلم إذا كان لا يعلم، وقد كان النبي ﷺ إذا سئل عن الشيء لم يتقدم له فيه علم الوحي من الله عز وجل يقول : لا أدري، وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم له فيه العلم أن يقول : الله أعلم، ولا يكلف ما لا يعلمه فهو أعذر له عند الله وعند ذوي الألباب (3).

---

1 – التحرير والتنوير ج 23 ص 308.

2 – قال ابن عباس رضي الله عنهما : الأَبُّ ما تنبته الأرض مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس. وقال أهل اللغة : الأب مطلق المرعى.

3 – أخلاق العلماء ص 81.

ذ. عبد الحميد صدوق

الإجهاض
بين تقنين الزنا وإباحة القتل

د. امحمد العمراوي

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، أحمده تعالى وبه أستعين، وأشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله النبي الصادق الأمين، بلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الكرام الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله:

كثر الحديث في هذه الأيام حول أمور شرعية متعددة، بدعوى إعادة النظر فيها بما يتلاءم وحقوق الإنسان العالمية، كالردة والقصاص والمساواة وغيرها، وهي أمور جاءت نصوص الكتاب والسنة فيها جلية صريحة، ورأي الفقه الإسلامي -ومنه الفقه المالكي- واضحا بينا، ومن آخر ما كثر الكلام حوله في هذا الباب المطالبة بحرية الإجهاض الذي يعني إلقاء ما في البطون من الأجنة، وإسقاط ما في الأرحام من الحمل، ويقنع المطالبون بتقنين الإجهاض بقصره على الحمل الناتج عن زنى المحارم في مرحلة أولى، تعقبها مرحلة ثانية يطالبون فيها بالإجهاض من الزنى بصفة عامة، ثم تعقبها مرحلة ثالثة بالإجهاض مطلقا، كان من نكاح أو سفاح، وهذه القضية تحتاج منا إلى تبيين عدة أمور، نجملها في أمرين:

الأمر الأول أن زنا المحارم -وهو أن تحمل المرأة من أبيها أو أخيها ونحو ذلك- من أهم أسبابه - زيادة على تغييب التربية على الدين في تعليمنا وإعلامنا وأسرنا وواقعنا بصفة عامة-:

انتشار محلات بيع الخمور بشكل خطير جدا، وانتشار المخدرات الصلبة انتشارا واسعا، مما يؤدي في الحالتين معا إلى غياب العقل، وفقدان الوعي، فينتج عن ذلك ارتكاب جريمة الزنا في حق أقرب المقربين من البنات والأخوات وربما الأمهات.

السبب الثاني هو تعميم العري، وأفلام الفاحشة، مما يحصر تفكير بعض ضعاف النفوس، من الرجال والشباب والمراهقين في العلاقة بالنساء، ويجعل تفكيرهم وهمهم كله إشباع شهوات فروجهم، فإذا عجزوا عن ذلك في الشارع العام بحثوا عنه داخل المنازل، وبين الأهل والأقارب، وعليه فإن حل مشكلة زنا المحارم يكون بقطع أسبابه، ومنع وسائله التي أشرنا إليها، وليس بالمطالبة بحرية الإجهاض أو بتقنينه، لما في ذلك من تشجيع على هذا النوع من الزنا وغيره، لأن من علم أو علمت أنهما سيتخلصان من الجنين دون أن يعلم بهما أحد من الناس، سيرتكبان جريمة الزنا وهما مرتاحان مطمئنان وتحت حماية القانون، وهذا يعني فتح باب الزنا والفاحشة في المجتمع بدرجة لا حدود لها، فيستحق لعنة الله وغضبه وعقابه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ عن بريدة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقض قوم العهد قط، إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط، إلا سلط الله عليهم الموت" وعن عطاء بن أبي رباح، قال: كنت مع عبد الله بن عمر فأتاه فتى يسأله عن إسدال العمامة، فقال ابن عمر: سأخبرك عن ذلك بعلم إن شاء الله تعالى، قال: كنت عاشر عشرة في مسجد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وحذيفة، وابن عوف، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، فجاء فتى من الأنصار فسلم على رسول الله ﷺ ثم جلس، فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقا» قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل أن ينزل بهم أولئك من الأكياس» ثم سكت الفتى، وأقبل عليه النبي ﷺ، فقال: "يا معشر المهاجرين، خمس إن ابتليتم بهن ونزلن فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم" فليست المسألة مجرد تقنين للإجهاض وإنما هي مطالبة بتقنين فاحشة الزنا مع أقرب المقربين، من البنات والأخوات والأمهات.. وهذا معناه العمل على إيجاد مجتمع حيواني بهيمي، يأتي فيه الذكر أنثاه، دون وازع من دين أو خلق أو حياء..

نفعني الله وإياكم بالقرآن المبين وبحديث سيد الأولين والآخرين وأجارني وإياكم من عذابه المهين...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

عباد الله:

الأمر الثاني: هو أن الدعوة إلى حرية الإجهاض أو تقنينه دعوة صريحة إلى القتل، ومطالبة بجعله أمرا قانونيا يمكن لكل زانية ممارسته، وهذا يعني أنها دعوة إلى جريمتين من أبشع الجرائم في وقت واحد: جريمة الزنا المقنن، وجريمة القتل المقنن، أو دعوة إلى جريمة الزنا والعمل على طمس معالم الجريمة بقتل الجنين، مع أن جريمة القتل هي أبشع من جريمة الزنا، بدليل أن الشرع حكم على الزاني مرة بالقتل ومرة بالجلد فقط، بينما في القتل حكم بالقتل، ولقد جمع الله مرتكبي الجريمتين مع المشركين وتوعدهم بأشد أنواع العقاب فقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ فما الفرق بين هؤلاء وبين قتلة الجاهلية، أوليس هذا هو الوأد الذي أنكره القرآن على فاعليه؟ وينكره هؤلاء بدعوى التقدمية والتمدن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ فما ذنب الجنين المقتول؟ وما دخله في الموضوع؟

إن المطالبين اليوم بقتل الأجنة والتخلص منها هم أنفسهم المطالبون بإلغاء قتل القاتل عمدا عدوانا المعروف في الشريعة بالقصاص، والمشهور في الواقع العام بالإعدام، وحجتهم في ذلك أن الحياة حق مقدس لا يجوز المساس به، فكيف بهم يطالبون بقتل الجنين، أليس حقه في الحياة مقدسا بنفس المنطق الذي يتحدثون به؟ أم هي الأهواء والرغبات والشهوات، تجعل أصحابها يطالبون بالقتل تارة وبإلغائه أخرى.

عباد الله: إن الإسلام حفظ للجنين حقه في الحياة، إلى درجة أنه أوقف إقامة الحدود قبل الولادة حتى لا يصاب بإذاية، ففي الصحيح أن امرأة من غامد من الأزد، جاءت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله، طهرني، فقال: «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه» فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك، قال: «وما ذاك؟» قالت: إنها حبلى من الزنى، فقال: «آنت؟» قالت: نعم، فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك»، قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي ﷺ، فقال: «قد وضعت الغامدية»، فقال: «إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه»، فقام رجل من الأنصار، فقال: إلي رضاعه يا نبي الله، قال: فرجمها.

هكذا توقف الحدود الشرعية حماية لحياة الجنين، وحفظا لحقه المقدس، وهو ضعيف لا يستطيع أن يحمي حقه بنفسه، ولكن الإسلام تولى حمايته من هؤلاء القتلة.

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد.

الدعوة إلى حرية الإجهاض أو تقنينه دعوة صريحة إلى القتل، ومطالبة بجعله أمرا قانونيا يمكن لكل زانية ممارسته، وهذا يعني أنها دعوة إلى جريمتين من أبشع الجرائم في وقت واحد: جريمة الزنا المقنن، وجريمة القتل المقنن

إن المطالبين اليوم بقتل الأجنة والتخلص منها هم أنفسهم المطالبون بإلغاء قتل القاتل عمدا عدوانا المعروف في الشريعة بالقصاص، والمشهور في الواقع العام بالإعدام، وحجتهم في ذلك أن الحياة حق مقدس لا يجوز المساس به، فكيف بهم يطالبون بقتل الجنين، أليس حقه في الحياة مقدسا بنفس المنطق الذي يتحدثون به؟

منزلة العِلم 1

العلم شرط صحة

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

1 - العلم مراتب ودرجات

منزلة العِلم، كما قال ابن القيم رحمه الله مصاحبة للسالك من أول مدارجه ومن أول مراتبه إلى آخره، لا يجوز أن يسلك عبد إلى ربه بغير علم، لأن العلم شرط صحة، إن توفر صح العمل بعد، وإن تخلَّف بطُل، ولذلك ترجم الإمام البخاري في صحيحه: (باب العِلم قبل القول والعمل)، لا يصح اعتقاد بغير عِلم، ولا يصحّ عَمَل بغير علم، ومن هنا جُعل العلم من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهي من المنازل الثابتة، بَيد أنها منزلة قابلة للتدرج والترقي، أي ليست على حال واحدة، ولا هي على مرتبة واحدة، بل العِلم مراتب ودرجات، والعِلم قد يكون تخصصاً خاصا بالعلماء، فهذا ضرب ونوع، وقد يكون مما ينبغي لكل مسلم أن يَعلَمه من الدين، وهذا ضرب آخر، والذي يهمنا ما ينبغي على عامة الناس أن يعرفوه ويتعلموه من العلم، الذي به يسلكون إلى الله عز وجل، والناس في العِلم طائفتان: مُفرِطة ومُفَرِّطة.

● **الطائفة المُفَرِّطة :**

قوم فرَّطُوا فأنكروا العلم وحاربوه في طريق العبادة، فكانوا بذلك من الجاهلين، وكانوا بذلك من الضالين، الذين قالوا من قبل: تأخذون علومكم من ميت عن ميت، ونأخذ علومنا عن الحيّ الذي لا يموت، هذه كلمة لا تصحّ، ولا ينبغي لعاقل من المسلمين أن يرددها على سبيل الاعتقاد بها والعمَل بها، كلمة قد يستعملها إبليس ويُلقيها على خاطر بعض الذين لا عِلم لهم، فيعبدون الله بغير علم، لا ينبغي أبدا للمؤمن الكيس الفطن أن يسلك إلى الله بمثل هذا القول، فينتقد على أهل القرآن تعلقهم بالقرآن، وينتقد على أهل الحديث والسنة تعلقهم بالسنة، على أساس أنه هو متعلِّق بالله، وهذه كلمة كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كلمة حقٍّ أُريد بها باطل»، التعلق بالله حقّ لكنه مشروط باتباع الكتاب والسنة، فمن خالفهما ما كان أبداً ليصل إلى الله عز وجل، ولا أن يكون من الصالحين، فهؤلاء إذن فرَّطوا في العلم، فعبدوا الله بالجهل، ومن هاهنا نشأت البدع في تاريخ الدين، فأُنشئت عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، وقيل بعقائد باطلة بسبب مجافاة هؤلاء للعلم، وإنكارهم لمن تتبع نصوص الكتاب ونصوص السنة،

من أين إذن يُؤخذ الاعتقاد إن لم يُؤخذ من صريح القرآن وقطعيه؟ ومن أين يُؤخَذ إن لم يُؤخذ من صحيح السنة النبوية؟، ومن أين بعد ذلك يُؤخذ العمل من صلوات وزكوات وصيام ومندوبات وهلمَّ جرا إن لم يُؤخذ من نصوص الكتاب ومما أُثر من صحيح السنة؟ قلت من هاهنا نشأت البدع، حتى إن من البدع ما كان بدعة حقيقية في نقد العلم، ومن البدع ما كانت إضافية في نقد العِلم، وهذا اصطلاح لأبي إسحاق الشاطبي رحمه الله، الرجل الرباني العارف بالله حقا، صاحب كتاب «الاعتصام» الذي قسم البدع إلى قسمين: بدعة حقيقية وبدعة إضافية، وليس هذا بمعنى ما يُنتَقد من تقسيم البدع إلى بدع مستحسنة أو حسنة، وبدع منكَرة، فالبدع كلها منكَرة، ليس في القبيح حسن، لا يمكن أبدا أن نُصنف البدعة على أنها بدعة، ثم بعد ذلك نصفها بالحُسن، فوصف البدع بالإضافية والحقيقية شكل آخر، وينبغي للحصيف أن يميز بينهما في معرفته، وفي دعوته إن كان من الدعاة إلى الله عز وجل، وفي علاقاته مع أهل البدع، وهذا التقسيم مقبول على أصول الكتاب والسنة.

فمن البدع ما هو بدع حقيقية، أي لا أصل له في الدين، كأن يقوم شخص مثلا بشق رأسه على أنه يعبد الله بذلك، فمثل هذا ما أنزل الله به من سلطان، أي ليس هناك أبداً من نص في الكتاب، ولا في السنة، ولا في اجتهاد المسلمين عبر التاريخ ما يمكن أن يُستأنس به في إجازة مثل هذا العمل، هذا بدعة حقيقية.

وهذا خطير فعلا وينبغي أن يُنتبه إليه وهو ما له أصل في الدين، أي عنده فيه أصل لكن التحريف ليس في الأصل، لا، التحريف وقع في تحقيق المناط بتعبير علماء أصول الفقه، أي في كيفية التطبيق، مثلا، كالصيام، الصيام مشروع إما على الوجوب أو على الندب، لكن قد يقع الصيام بنوع من البدع، مثلا: كأن يصوم شخص ولا يستظل، لا يدخل للظل طلبا لزيادة الأجر، هذا باطل، لا يجوز له أن يشترط على نفسه في صومه أن لا يستظل، هذا عمل باطل، فالصوم حقّ، لكن أن تُوَقِّعَه بهذه الطريقة بدعة، وهذه هي البدعة الإضافية وليس الحقيقية، فرق كبير بين تلك وهذه؛ الأول الذي شق رأسه هذا مجنون، أما هذا فعابد لكن بجهل، -بدعةٌ إضافية-، أو أن يصوم بشرط أن لا يُكلِّم أحداً ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، يُقال له هذا شرع من قبلنا وهو منسوخ، لأن شرع من قبلنا نعم شرع لنا ما لم يرد ناسخ، والناسخ وارد وهو تشريع رمضان بالمواصفات المعروفة، فما كان النبي ﷺ يصوم ولا يُكلِّم أحداً، بل كان يكلم الناس ويَخطُب الناس، فإذن البدع الإضافية في الدين هو ما له أصل في الدين، لكنه عندما أراد أن يُطَبقه أخطأ، أمثال هؤلاء يُقال لهم: مفرِّطون في العلم، فصاروا إلى البدع الحقيقية حيناً وإلى البدع الإضافية حيناً آخر، كالذين ينقطعون عن الأكل والشرب أربعين يوماً مثلاً، هذا ما ينبغي، لأن النبي ﷺ نهى عن صيام الوصال، وهو أن يصوم الإنسان النهار ويضيف إليه الليل، يصوم الإنسان النافلة مثلا، تجيء المغرب فَيُقُول حتى للعشاء، ومن العشاء حتى السحور الآخر، ومن السحور الآخر حتى المغرب القادم، وقد يضيف..، هذا صيام كان خاصا برسول الله ﷺ، فنهى الصحابة عنه، وقال فيه إني لست كهيئتكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، فنهى الصحابة عن ذلك، والذي ينبغي أن يقع لدى الإنسان أن طَلَبَ المشقّة في العبادة ممنوع، لا تبحث عن العبادة المتعبة، ظنّاً منك أن فيها أجرا زائدا، لأن الدين يُسر، نعم، إذا انجرَّت المشقة مع العبادة المفروضة فهذا شيء محمود الصبر عليه، تُؤجر عليه كما يؤجر المؤمن على الجهاد في سبيل الله، يُؤجر المؤمن حتى على الشوكة يُشاكُها، المؤمن مأجور على المشقة التي حصلت له؛ إصباغ الوضوء في المكاره أو على المكاره أيام البرد، ولم تجد الماء الساخن، وصبرت وتوضأت بالماء البارد، فأنت مأجور على هذا. لأن الوضوء واجب عليك، ومادمت تتحمل الماء البارد فعليك أن تتوضأ به وأنت مأجور على المشقة اللاحقة بذلك الفعل، أما أن تتخير المشقة وبين يديك الفعل السهل فلا يجوز أن تختار بين الأمرين أعسرهما، وإنما رسول الله ﷺ إذا خُيِّر بين أمرين اختار أيسرهما، تهور الإنسان في بعض الأحيان يخرجه من السنة ويرميه في البدعة دون أن يشعر، ظَنّاً منه أنه قد سار إلى العبادة الحقة، «لا يُطلب الدين إلا بعلم».

> **العِلمُ درجتان، معلوم من الدين بالضرورة، وهو واجب على الجميع، وعِلمُ تخصص، وهو لأهله، متفرغون له وعندهم القدرة والعقل والشروط الاجتماعية والمادية والنفسية، وذلك يؤتيه الله عز وجل لمن يشاء.**

● **الطائفة المُفْرِطة :**

طائفة ثانية على خِلاف هذه الطائفة التي فرَّطت، طائفة ثانية أفرطت، والإفراط كالتفريط، كلاهما يقود إلى البدعة أيضاً، الإفراط في العلم ليس معناه أن الإنسان يُكثر من العلم، لا، أبداً، وإنما المقصود هاهنا بالإفراط، إلزام الناس ما لا يلزمهم، العِلم، هناك علم ضروري ما يُسمى بالمعلوم من الدين بالضرورة لا يجوز لمسلم أن يجهله، ما لا يسع المسلم جهله، يعني، كيف تتوضأ وكيف تصلي، واجب عليك أن تعرفه، سورة الفاتحة واجب عليك أن تحفظها، آيات وسور قَلَّتْ أو كثرت مما يُساعدك على الصلوات الخمس واجب عليك أن تحفظه وجوباً عينيا ما دُمتَ مسلماً، لكن أن تُكلف الناس زيادة علْم على سبيل التعميم فهذا إفراط، تكليفُ ما لَا يُطاق، وتكليف ما لا يُطاق مرفوع في الشريعة، وما كان الصحابة رضوان الله عليهم علماء أجمعين أو على مستوى واحد من العلم، والنبي عليه الصلاة والسلام وصف معاذاً بن جبل وقال فيه: «وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ»، يعني كان أعلم الصحابة وأفقهَهم بالحلال والحرام، مما يدل على أن آخرين ما كانوا على ذلك المستوى، وقد أُثر عن أبي بُرْدَةَ كما ورد في الموافقات للشاطبي أنه أكل البَرَد في نهار رمضان (التّبْرُوري)، رآه فأكله، قال: مَاهو بطعام ولا بشراب، وإنما رزق أنزله الله من السماء، لم يعرفه، فليس كل الناس لا في زمن رسول الله ﷺ ولا بعده، كانوا سواءً في العِلم، وكانت الأنصار في بداية الأمر لا تغتسل من التقاء الختانين، حتى استفاض الخبر على وجوب الاغتسال من لقاء الختانين، مما يدل على أن الصحابة كما أكَّدتُ لم يكونوا على مستوى واحد من العلم، وما كَلَّفَ رسول الله ﷺ الناس بأن يكونوا علماء أجمعين، مستحيل تكليف ما لا يُطاق، ولذلك قلتُ في بداية الأمر: العِلمُ درجتان، معلوم من الدين بالضرورة هذا واجب على الجميع، وعِلمُ تخصص هو لأهله، متفرغون له وعندهم القدرة والعقل والشروط الاجتماعية والمادية والنفسية، وذلك يؤتيه الله عز وجل لمن يشاء.

إذن العلم منزلة، إنما معنى المنزلة هاهنا منزلة إيمانية، ومنازل الإيمان متاحة لجميع المسلمين، إذا كان ذلك كذلك فمعناه أن تحصيل منزلة العِلم ليست من الدرجة الثانية، ليست من درجة التخصُّص، لو كانت كذلك ما كانت منزلة.

---

* منزلة العلم من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بالجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي.

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

مواقع التواصل الاجتماعي وآداب الحوار

ذ. محمد منديل *

لأسباب خاصة قد يطول الكلام بذكرها ولا تهم قارئ المقال في شيء، قررت منذ مدة بعيدة هجر شبكات التواصل الاجتماعي مع ما لها من فضائل وإيجابيات لا تنكر، وقد أُجبرت مؤخرا على الرجوع إليها بسبب الحاجة الملحة للتواصل مع بعض الشخصيات العلمية التي لا يمكن الظفر بها والتواصل معها بطريقة سهلة وغير مكلفة إلا عن طريق هذه الوسائل التي عمت بها البلوى في عصرنا... عدت وفتحت حسابا على "تويتر" ... وفي غمرة البحث عن حسابات بعض هذه الشخصيات للاغتراف من رصيدها العلمي عن طريق ما تزفه إلى متابعيها في صفحاتها، أو عن طريق استفسارها بواسطة الرسائل الخاصة، قادتني رحلة البحث إلى صفحة الشيخ عبد الله بن بيه حفظه الله... ضغطت على زر الصداقة لكي أكون ضمن لائحة متابعيه "التويتريين" ممن يصلهم كل جديد يدبجه الشيخ في صفحته... وأخذني الفضول المعرفي بعدها في رحلة استكشافية لأرشيف صفحته، استمتعت خلالها بتغريدات رصينة ومختصرة تعبر عن الفكرة بألفاظ موجزة قاصدة، وبينما أنا كذلك إذ وقعت عيني على تغريدة استوقفتني كثيرا دون سواها غرد فيها الشيخ عبد الله حفظه الله قائلا بأن (مشكلتنا في العالم الإسلامي عدم اتساع الصدور للمسائل الخلافية) ومَرَدُّ توقفي عند هذه التغريدة مليا يرجع إلى كونها جاءت معبرة عن فكرة كنت مقتنعا بها – وما زلت – وخصصت لها بحثي للتخرج من سلك "الماستر" وما زلت اشتغل عليها... ومفاد هذه الفكرة هو: أنه كما توجد في الإسلام مسائل هي محكمات وقطعيات ثابتة أجمعت الأمة عليها ولا يصح الخروج عليها ويشدد النكير على المخالف فيها، فإنه بالمقابل هناك مسائل في الإسلام هي من قبيل الظنيات التي يسوغ أن تتعدد فيها الأفهام وتختلف فيها الأنظار، تبعا لما أدى إليه كل مجتهد اجتهاده. وهذه المسائل الأصل فيها سيادة روح التسامح والتغافر والتعاذر بين المختلفين. وهذه المسائل هي التي أشار إليها الشيخ عبد الله بن بيه في تغريدته بالمسائل الخلافية ويُفَضلُ بعض علماء الشريعة المعاصرين التعبير عنَها بالمسائل الاجتهادية...

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول بأن ما استوقفني بداية عند تغريدة الشيخ هو هذا التوافق بيننا في تشخيص المشكلة التي يعانيها العالم الإسلامي وهو ما دفعني – بعد ذلك – إلى معرفة الكيفية التي تم بها التفاعل والتجاوب مع هذه التغريدة من قبل متابعي الشيخ عبر تويتر، فماذا وجدت؟.

بعد قراءة التعليقات وإعادة قراءتها والتأمل فيها وجدت أنه يمكن تصنيفها إلى مجموعات كما يلي:

● تعليقات قليلة تفيد أن أصحابها ممن ربى فيهم العلم خلق التواضع العلمي وجاء مكتوبهم متسما بأخلاق أهل العلم وطلبته ومعبرا عن رغبة في التَعَلُّم والفهم والاستيضاح. فكان تعليقهم إما عبَارة عن سؤال موجه للشيخ لتوضيح السبب الذي جعله يخلص إلى ما قال ولماذا؟ وكيف؟ ...وإما عبارة عن إبداء رأيهم بلغة عفيفة بموافقة الشيخ فيما عبر عنه. إن كان قصده المسائل الخلافية الفقهية. أما إن كان يقصد المسائل الخلافية العقدية فالمطلوب من الشيخ –حسب تعبير أحدهم– مراجعة تغريدته.

● تعليقات أقل من الأولى جاءت موافقة للشيخ فيما ذهب إليه بالإشارة إلى سلوكات بعض المسلمين الذين لا يعترفون بكل "ما" و"من" يخالفهم الرأي. بل زاد أحدهم بأن مشكلتنا في العالم الإسلامي كوننا وصلنا إلى مرحلة ننكر فيها وجود هذه المسائل الخلافية أصلا وليس في عدم اتساع الصدور لتقبل الخلاف فيها مما جعل من الخلاف –حسب معلق آخر– نقمة بدل أن يكون نعمة.

● بعض التعليقات ممن ضاقت صدور أصحابها بتغريدة الشيخ لم يجدوا بُدًّا من التعليق عليها إلا بعبارات تفوح منها رائحة السخرية والاستهزاء. وتطوع أحدهم للتمثيل للمسائل الخلافية التي قد يكون قصدها الشيخ ب (حرق الجثث ومجزرة رابعة ووو....) وزاد آخر من جرعة السخرية بالقول بأن مقصود الشيخ بهذه المسائل هي : (الطواف بالقبور ودعاء الأموات وأدعية الشركيات التي لا تتسع لها صدور الموحدين).

● بعض آخر من التعليقات التي لا يفوت أصحابها الفرصة في كل تعليق يخطونه لإقحام الخلفية الانتمائية لكل مخالف لهم يودون نصب محاكمة له تركوا التغريدة وراحوا ينبشون في أرشيف الشيخ وكل ما قاله في مناسبات علمية سابقة مما ليس له صلة بالتغريدة المراد التعليق عليها، فاهتدى أحدهم بعد البحث أخيرا إلى العثور على فتوى للشيخ يضلل فيها (المتلقي (؟) حول آراء ابن تيمية). وأسعفت الآخر ذاكرته الحديدية باسترجاع محاضرة كان سمعها للشيخ في جامعة الأزهر تحدث فيها عن الصفات الإلهية و(دافع فيها عن التأويل بطريقة متعصبة وبدون أدلة ثم رمى السلفيين بالتشدد) وهذا تجريح خطير في الشيخ كاف في نظر هؤلاء بإسقاطه من حساباتهم وإهدار كل محاسنه هذا إن كانوا يُقِرُّونَ بأن له محاسن أصلا.

● تعليقات صيغت بلغة هجومية تعبر عن النفسية الصراعية التي تتملك أصحابها ممن أطلقوا العنان لفواهة مدفعيتهم اللفظية الثقيلة لمهاجمة شخص الشيخ– وليس فكرته–

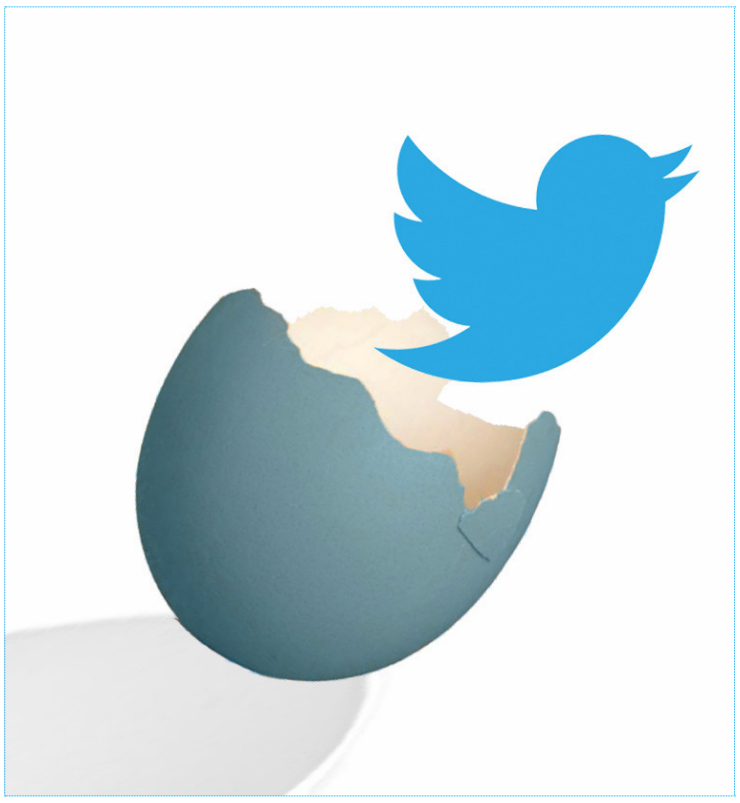

بقذائف جعلت منه (رأسا من رؤوس البدع والضلالة الذين اتخذوا من المصادر الواهية والطرق المبتدعة مطية لمحاربة السنة والدليل).

● تعليقات عبثية بلا معنى وجد أصحابها في مطاوعة أزرار الحاسوب لهم فرصة اغتنموها ليعطوا كامل الحرية لأصابعهم للضغط بشكل عشوائي على الحروف لكي يخرج تعليقهم في شكل "خربشات" عبثية لا تحمل معنى في لسان العرب ولا تمت لما قاله الشيخ بصلة (خخخخخخ...) ليرد عليه أحدهم بضحكة طويلة (هههههههه...).

هذا حاصل التعليقات والتفاعل مع التغريدة التي كتبها الشيخ عبد الله بن بيه حفظه الله في صفحته بتاريخ 8 فبراير 2015م. والحقيقة أني ما كنت لأتوقف عند هذه التعليقات والردود ولا كنت سأعطيها أهمية لا تستحقها – في نظري – وإنما كنت سأمر عليها مرور الكرام كما هي عادتي مع أمور كثيرة قد أصادفها في مثل هذه المواقع الاجتماعية. ولا تعجبني أو قد لا أتفق معها فألوذ بالتجاهل إزاءها أو بغض الطرف كَأَنْ لم أرها، لولا أن ما كتبه الشيخ كما سبقت الإشارة إلى ذلك له علاقة بموضوع يشغلني من الناحية العلمية ولي فيه نفس القناعة التي عبر عنها في تغريدته وهي أن مشكلتنا في العالم الإسلامي هي عدم اتساع الصدور للمسائل الخلافية وإصرار البعض من المسلمين على أن تكون الطريقة الصارمة التي يتم بها التعاطي مع المسائل القطعية الإجماعية والمخالف فيها هي نفسها الطريقة التي يتم التعاطي بها مع المسائل الظنية الخلافية والمخالفين فيها.

خلاصة القول : إن التأمل في أغلب تعليقات هؤلاء التويتريين والتويتريات وكيفية تفاعلهم مع هذه التغريدة يفضي – في نظري – إلى نتيجة واحدة هي: أن سيادة مثل هذه الطريقة في تدبير الاختلاف التي يتوسل فيها البعض إما بلغة الاستهزاء والسخرية والانتقاص من المخالف لهم أو بقاموس التجريح والتبديع والتفسيق لشخصه بدل مناقشة أفكاره ومحاججتها علميا يؤكد فعلا أن مشكلتنا في العالم الإسلامي كما عبر عن ذلك الشيخ عبد الله بن بيه حفظه الله في تغريدته هي عدم اتساع الصدور للمسائل الخلافية.

---

* باحث في سلك الدكتوراه بجامعة ابن طفيل القنيطرة.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل :.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغــرب : 60 درهم

■ خارج المغــرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس) رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات، فاس – المغرب

أثر التربية في الإصلاح الاجتماعي

ذ . عبد الله بلمدني

أثر التربية في إصلاح المجتمع ليس موضوعا عاديا وليس كبقية المواضيع الفكرية أو العلمية وإنما هو موضوع جلل، يدل على جلالة قدره وعظم شأنه أن الله سبحانه وتعالى تولاه بنفسه فربى النخبة المباركة التي تقوم بهذا الأمر العظيم، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ورباهم وصنعهم على عينه سبحانه وتعالى بتربيته الخاصة من أجل أن يخرجوا إلى البشر ليربوهم تلك التربية الربانية، ومازالت الرسل تبعث من قبل الله تعالى فترة بعد فترة، وهكذا يذكرنا الله تعالى في القرآن الكريم بهؤلاء الذين رباهم قبل أن يخرجوا إلى الناس ليقوموا بهذه التربية التي يكون لها ذلك الأثر العظيم في إصلاح الفرد والمجتمع؛ يقول الله عز وجل مبينا صفات هؤلاء المربين: ﴿ولتصنع على عيني﴾ في حق موسى عليه السلام، ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ في حق محمد ﷺ، وهكذا كل الأنبياء الذين ذكروا في القرآن دائما يذكر الله عز وجل أنه هو الذي تولى تربيتهم قبل أن يبعثهم للناس ليقوموا بتربية العباد قال تعالى: ﴿ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران ذرية بعضها من بعض﴾، وهكذا تتوالى الآيات التي يبين فيها سبحانه وتعالى أن هؤلاء الذين أناطهم بمسؤولية التربية رباهم سبحانه ليقوموا بهذه التربية على أحسن وأكمل حال، وقد كان الأمر كذلك، أما الذين وقعت عليهم التربية فمنهم من استجاب لهذه الدعوة ولهذه التربية، ومنهم من لم يستجب. والأمر لله من قبل ومن بعد، هكذا توالت الرسل لتربية البشرية حتى شاء الله عز وجل أن يختم هذه الرسالات برسولنا المصطفى ﷺ لتتمثل فيه الصفات الكاملة للمربي، فبعث الله نبيه ﷺ كاملا، فلم يجلس ﷺ أمام أستاذ ولا أمام عالم ولا أمام مفكر، بل استأثر به سبحانه وتعالى ورباه أربعين سنة قبل أن يبعثه وهو تحت رعايته وعنايته، فلما بلغ الأربعين بعثه رحمة للعالمين فقام بهذه التربية الكاملة وربى رجالا من طراز لا يأتي مثلهم لا قبلهم ولا بعدهم، قال الله عز وجل: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾. وهكذا انتقلت هذه الصفات من شخص الحبيب المصطفى ﷺ إلى شخص أصحابه فتفرقت هذه الصفات الكاملة في الصحابة ثم بعد ذلك تكون المنهج الرباني التربوي لهذه الأمة وظل محفوظا من قبل الله تبارك وتعالى لأن الله شاء أن يكون هذا المنهج الخاتم الذي ختم الله به الرسالات فاجتمع الكمال كله في هذا المنهج.

هذا المنهج إذا أردنا الآن أن نحلله لتتبين لنا العناصر التي يتكون منها فيمكن أن نجعله تحت موضوعين:

الأول خصائص والثاني تجليات، إذن عندنا خصائص وتجليات الخصائص هنا إما أن تكون في المربي وإما أن تكون في المنهج المربى به، أما التجليات فالمقصود بها ثمار هذا المنهج حين يقوم ويتحقق في المجتمع بخصائصه في جانب المربي وفي جانب المنهج لا بد أن يؤتي أكله ويعطي ثماره قطعا، فلنكن على يقين أنه عندما تتوفر هذه الخصائص في المربي وفي المنهج تعطينا ذلك الإصلاح المنشود وذلك البناء الذي نهدف إليه.

أما خصائص المربي فقد حاولت أن ألخصها في ستة، أولها العلم وثانيها الإخلاص وثالثها الربانية ورابعها الهمة وخامسها الرفق وسادسها الحب.

وأما خصائص المنهج وهي موجودة في منهاجنا الرباني فأولها التدرج و ثانيها الاعتدال وثالثها الشمولية ورابعها التكاملية وخامسها مراعاة الفوارق، إذن هذه ستة في جانب المربي وخمسة في جانب المنهج.

1 – خصائص المربي :

• الخصيصة الأولى من خصائص المربي هي العلم: والمقصود به علمان العلم المعصوم الذي يأتي من عند الله الذي خلق الإنسان وأنزل عليه العلم الذي يربى به الإنسان، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾؟، بلى فهو سبحانه وتعالى العليم بهذا الإنسان فأنزل إليه الكتاب المبين والجامع لخصائص هذا الإنسان وكيف يربى على ضوء وحي الله رب العالمين وعلى ضوء هذا الذي يسمى اليوم (بالكاتالوج)؛ فالإنسان صناعة الله، والوحي كلام الله ولا يمكن أن تربى هذه الصناعة وأن تعطي المطلوب الذي من أجله كانت ومن أجله خلقها الله إلا إذا طبق عليها هذا الوحي الذي يخاطبها من كل جانب فلا يترك جانبا من الجوانب إلا ويعالجه، هذا الجانب الأول من العلم والجانب الثاني معرفة هذا الإنسان ومعرفة أسراره وحقائق نفسه، فهو أعقد مخلوق على وجه الأرض فتربيته أعقد تربية. ولذلك لم يكلها الله تعالى إلا للأنبياء والمرسلين ولخلفاء الأنبياء والمرسلين؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يضع لهذا الإنسان المنهج الذي يربيه على الصلاح والإصلاح إلا ربه الذي خلقه. ولذلك لا بد من العلمين معا من علم الوحي المنزل ومن علم هذه الصناعة؛ فعلم هذه الصناعة يؤتى من خلال الوحي نفسه لأن كل الأشياء خلقها الله عز وجل بـ«كن» فكانت إلا الإنسان، فقد خلق آدم بيده، وهذا يلفت نظرك إلى هذه الصناعة العظيمة، فإذن لا يمكن أن تنظر إلى الإنسان إلا من خلال كتاب رب العالمين، ولذلك أخطأ الذين نظروا إليه من زوايا أخرى فوضعوا له مناهج لا تليق به ولا تنسجم مع تكوينه ولا تتسق مع فطرته حتى جعلت هذا الإنسان ضد نفسه وضد مصلحته وضد ما أريد له أن يكون، وترتب عن هذه المناهج –وهي غير لائقة بالإنسان– فساد وإفساد، قال تعالى: ﴿وإذا سعى تولى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ لذلك لابد من هذه الخصيصة في المربي والمقصود بالمربي هنا الجنس، أي مناهج التربية والمؤسسات التي تقوم بالتربية، لا بد أن تنظر إلى الإنسان من زاوية وحي الله الذي هو العليم والخبير بالإنسان.

• الخصيصة الثانية : الإخلاص : هذا العلم حين يتوفر إذا لم يكن فيه إخلاص من المربي أو من الجهة القائمة على التربية فهل سيؤتي أكله؟ والمراد بهذا الإخلاص هو تفاني الإنسان في خدمة المربى بحيث يسخر كل جهوده بالليل والنهار؛ فبالليل يقف بين يدي الله يسأله سبحانه وتعالى سؤال الذليل الفقير الكسير الذي يقول: يا رب إني بذلت جهدي في نهاري والقلوب بيدك أنت الذي تقلبها كيف تشاء، أسألك ربي أن تفتح لي قلوب عبادك. فهذا الواقف في ظلام الليل يسأل ويتضرع ويبكي ويخشع ويركع ويسجد كيف لا يستجيب الله له، وكيف لا يمكنه الله تعالى من قلوب المتربين، ولذلك انظر إلى عباد الرحمن الذين نوه الله بذكرهم في القرآن وجعلهم فعلا مربين وساقهم نماذج لكل من أراد أن يربي؛ حيث قال الله في آخر صفاتهم: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ انظر إلى مطلع صفتهم حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض﴾ هذه صفة تربية في النهار ﴿يمشون على الارض﴾ المقصود أنهم يمشون لتحقيق هذا الهدف التربوي ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ لأن الناس الذين سيقومون على تربيتهم إما أن يستجيبوا في أول وهلة وإما أن يحتاجوا إلى علاج طويل؛ فالذين استجابوا لأول وهلة طواهم القرآن والذين لم يستجيبوا لأول وهلة هم الذين ذكرهم القرآن : ﴿وإذا خاطبهم﴾ إذا هناك حوار كله يهدف إلى التربية ﴿خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ لكن في الليل ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ نهارهم قيام بدور التربية لإصلاح العباد، وليلهم عكوف وبكاء على باب الله، فهذا الذي ليله هكذا كيف لا ينجح في نهاره؟ لا بد أن ينجح لأن القلوب بيد الرب جل جلاله.

فيا أيها الأب الذي تشكو من سوء تربية أبناءك، ويا أيها الزوج الذي تشكو من سوء خلق زوجتك، قف بالليل واسكب الدموع بين يدي الله واركع واسجد وتذلل بين يدي ربك سبحانه وتعالى، وانظر إلى النتيجة كيف تكون. فهذا سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى كان يقول لولده: "يا بني إني لأزيد في صلاتي بالليل من أجل صلاحك"، يصلي ما شاء الله أن يصلي ثم يتذكر حال ولده فيزيد ركعات وسجدات ويتمرغ بخديه على الله، كيف يخيب مثل هذا؟ الإخلاص إذن لا يتحقق إلا بمثل هذه الحرقة، لن يكون هناك إشراق على المربَّى إلا إذا كان هناك إحراق في قلب المربِّي لأنه لا إشراق بلا إحراق، فهذا الإحراق هو الذي ينم عن وجود الإخلاص في هذا القلب المحترق المتعلق بالله ثم بالمربى ثم لا اختراق لهذا القلب وهذا العقل بلا احتراق، فلا يخترق إلا المحترقون وأما الباردون فهؤلاء كلماتهم باردة لا تنم عن حرارة ولا عن حرقة، ولذلك سأل ولد ابن الجوزي أباه قائلا له: "يا أبتاه مالي أرى الناس يتأثرون بك ما لا يتأثرون بغيرك؟ فقال: "يا بني ليست النائحة كالمستأجرة"، النائحة تبكي على فقيدها فتحترق، أما المستأجرة المسكينة فهي مأجورة جاءت من أجل أن تأخذ أجرتها ثم تذهب.

الإخلاص إذن هو الذي يحول المربي إلى نائح ينوح حيثما حل وارتحل ينوح بليله بكاء على الله وينوح بنهاره خطابا لهذا المربى، وحين يشعر هذا المربَّى بهذه الحرقة التي يعانيها المربِّي لابد أن يستجيب، كان أحد السلف الصالح يلقب بالبَكَّاء، كان إذا رأى أو سمع منكرا في بيت يأتي إلى باب البيت ويظل يبكي بكاء شديدا حتى يرحمه أهل البيت وينزلون إليه ويقولون يرحمك الله ماذا تريد فيقول أريد أن توقفوا هذا المنكر فيضطرون لإيقاف المنكر رحمة بهذا البكاء الذي يبكي حرقة، فكيف لا يحقق الله على يد هذا المربي الهداية والتوفيق؟ كيف لا يلين له القلوب؟ هذا هو الإخلاص الذي لا بد منه بالإضافة إلى العلم فالعلم وحده ليس كافيا إذا لم يكن معه الروح الذي هو الإخلاص، "علم بلا إخلاص جسد بلا روح" فالعلم لا يتحرك بلا إخلاص" لأنه قد نزعت منه الروح، لكن حين تحل به الروح وتسري في كيانه ترى العلم يشع بنوره ثم بعد الإخلاص لا بد من الخصيصة الثالثة.

• الخصيصة الثالثة : الربانية : وهي أن هذا الإخلاص حين يتجلى في القلب يظهر أثره على صاحبه فإذا رأيت هذا الرباني فإنه يجذبك إلى الله بحاله قبل مقاله، يقول ﷺ: «خياركم من تذكركم بالله رؤيته ويزيدكم في العلم منطقه وتدلكم على الله هيئته»، "لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله"، الربانية نور يسري في كيان الرباني يشرق على الوجه بالأنوار وعلى الحال بالأنوار، حاله العجيب يكون بمثابة تيار كهربائي يضيء لهذه القلوب المظلمة، الربانية التي تجعل لصاحبها أحوالا مع الله خاصة ليست كأحوال الناس العاديين، ورث بهذه الحال ربانية من ربه جل وعلا، يقول تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ هذه الربانية عندما ترى صاحبها تشعر برقة وبلطف وبحنان وبرحمة،

تشعر بريح وبعطر وبمسك يهب عليك لأن النبي ﷺ شبهه بهذا فقال كما في صحيح مسلم: "مثل الجليس الصالح كحامل المسك فإما أن يحذيك وإما أن تجد منه ريحا طيبة"، الرباني لا تشم منه إلا ذلك الريح الطيب وقد كان أحد العلماء الفضلاء يقول: (كنا إذا اشتدت بنا الأزمات وضاقت بنا الأرض بما رحبت نذهب إلى شيخنا فلانا فلا نجلس عنده إلا وقد هبت علينا رياح السكينة رياح الطمأنينة رياح السعادة) لا يجلسون عنده إلا وقد تبدل كل شيء وتغير كل شيء لأن هذا يعتبر وارثا لحظ من النبوة، العلم الذي ينعكس على صاحبه.

• **الخصيصة الرابعة : الهمة :** التي تجعل الإنسان يرى في من يتجه إليه في التربية ذلك النموذج العالي، لأن له همة وعلى قدر همة المربي يكون المربى، فإذا كانت همتك عالية يا أيها المربي والدا أو أستاذا أو معلما .... فسوف تنتشل هذا المربى ليصعد وليعلو وليسمو، لأن بينك وبينه حبلا كحبل المشيمة فإذا كانت المرأة الحامل همتها عالية فإن ولدها سيكون أيضا من أهل الهمم العالية ولذلك كانت أم محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية تأتي به وهو مازال طفلا صغيرا تجلسه على شط البحر ثم تريه مدينة القسطنطينية وتقول له يا بني أنت الذي ستفتح القسطنطينية،

له همة لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر

فلما كانت همة المصطفى ﷺ أعلى همة ربى رجالا لا توجد همة تساوي هممهم، لذلك لا بد للمربي من همة، أيها المربي لا تكن همتك هي أن تربي إنسانا وديعا لا يصنع شيئا ليس له أثر في الحياة على غرار قول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فأنت الطاعم الكاسي

الهمة العالية التي تجعل هذا الإنسان يردد مع القائل :

أبعد مضي خمسة عشرة ألعب
وألهو بلذات الحياة وأطرب
ولي أمل عال ونفس أبية
مقام على هام المجرة تطلب
وعندي آمال أريد بلوغها
تضيع إذا داعبت دهري وتذهب
ولي أمة منكودة الحظ لم تجد
سبيلا إلى العيش الذي تتطلب
على أمرها أنفقت دهري تحسرا
فما طاب لي طعم وما لذ مشرب
ولا راق لي نوم وإن نمت ساعة
فإني على جمر الغضى أتقلب

هذه الهمة التي تحيي النفوس، هذه الهمة التي لا يرضى أصحابها بالدون أبدا، لا يرضى أصحابها أن يعيشوا في الثرى وإنما يرقون إلى الثريا، سمع النبي ﷺ من الشاعر أبي ليلى بيتا يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناءنا
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال الحبيب ﷺ: "ما المظهر أبا ليلى؟" قال: الجنة، ماذا بعد سمو الدنيا؟ إنها الجنة، ما لم تكن عندنا همم لا يمكن أن نربي ذوي الهمم، وما أحوج أمتنا اليوم إلى إيقاظ الهمم وإلى شحذ العزائم لقد خارت العزائم وضعفت الهمم وهي موجودة كامنة في شبابنا وفي أمتنا، العزائم مستورة ومضمرة في هذه الأجيال، لكن تحتاج إلى ذي همة ليوقظها.

• **الخصيصة الخامسة : الرفق:**

كل هذا لا بد أن يكون برفق، همة برفق، ربانية برفق، علم برفق، إخلاص برفق، الرفق هو جمال هذه الخصال ظاهرا وباطنا "الرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه" الرفق في الكلمات، الرفق في التصرفات،... الرفق الذي إذا طبعت به هذه الخصال كانت في منتهى الجمال والكمال، هذا الرفق الذي يحيي الفطرة التي فطر الله الناس عليها. ومن ثم كان الرفق في منتهى صورته في شخص المصطفى ﷺ وكان إذا رأى شيئا مما يتنافى مع الرفق يتدخل بسرعة، فهذه عائشة ترد السلام على اليهود برد شديد حين سلموا على النبي ﷺ بتحيتهم المسمومة قالت: (السام عليك فقالت عائشة وعليكم السام واللعنة) فقال ﷺ: "يا عائشة عليك بالرفق فما كان الرفق في شيء إلا زانه وما فقد من شيء إلا شانه" قالت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ قال عليه الصلاة والسلام: "ألم تسمعي ما قلت لهم؟ قلت لهم وعليكم"، وانتهى الأمر.

• **الخصيصة السادسة وهي آخر الخصائص في جانب المربي وهي خصيصة الحب:**

التي هي الخيط الذي تنظم فيه هذه الخصائص، فما لم تنظم هذه الخصائص في هذا الخيط وتسبك بالحب فإنها لا تؤدي دورها ولا تؤتي أكلها، فالعلم بلا حب جفاف والاخلاص بلا حب جفاء والربانية بلا حب خواء وكذلك الهمة بلا حب قساوة؛ ستتحول الهمة بلا حب إلى قساوة وشدة، والرفق بلا حب خوار. الحب الذي ينطلق منه المربي هو الجسر الذي يربط بين المربي والمربى لتمر هذه الخصال كلها إلى المربى. إذا كنت تعطيه هذه العملية التربوية بلا حب فكأنك تعطيه جفافا وتعطيه أدوات بلا شحم، فالحب هو الدهنة والشحم الذي يلين هذه الخصال، ويجعل هذا المربى يحبك. ما لم توصل إليه أشعة حبك لا يمكن أن يتعلق بك وأن يلتفت إليك فما تعطيه من الحب هو الذي يرجع إليك فإذا أعطيت الحب للزوجة التي تريد أن تربيها يرجع إليك صدى حبك لها على قدر ما ترسل من أشعة الحب، على قدر ما يعود إليك من صدى الحب، والولد الذي تريد أن تربيه على قدر ما ترسل من أشعة الحب يعود إليك فهو صدى حبك، هذا الحب الذي يتجلى في التفاني في العطاء بلا حدود في الرحمة في العطف في الحنان الذي ينضح به لسانك وعيناك وحالك كله، ولهذا تجلى هذا الحب كله في شخص المصطفى ﷺ، وحين دخل أحد الأعراب إلى الحبيب المصطفى ﷺ ووجده يقبل الحسن والحسين تعجب فقال: يا رسول الله إن لي عشرة من الأبناء ما قبلت واحدا منهم، فقال له ﷺ: "ماذا أملك لك إن نزع الله من قلبك هذه الرحمة" وحين دخل أحد العمال على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ ووجده يلعب مع أطفاله، عمر الذي كالأسد خارج البيت الآن يتواضع لأطفاله ويرتحلونه تعجب هذا الرجل فقال له: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا مع أطفالك؟ قال: وأنت ماذا تفعل مع أطفالك؟ قال أنا إذا دخلت سكت الناطق واختفى الظاهر، قال: اذهب فلن تصلح لولاية هذه الأمة ليس فيك الحب الذي يجعل التربية تدوم فهو شحمها وإدامها ودهنها. فالعملية التربوية لا يمكن أن تسير إلا بالحب الذي يفيض به القلب والعاطفة، الحب الذي يتجلى في بعض الأحيان في دموع رقراقة تسيل من عين باكية تجعل الإنسان يذوب في خدمة المحبوب، الحب الذي له علاقة سماوية وعلاقة أرضية، العلاقة السماوية هي تحقيق حب الله في أرضه، والعلاقة الأرضية تحقيق حب العباد، لتجمع بين حب رب العالمين الذي هو أعظم حب وأكبر حب وأجل حب، وبين حب عباد الله بجميع أصنافهم، والحب ثروة كبيرة ليس لها حد، وزع منها ما شئت لا تنقضي، وزع منها حتى على العصاة، سبحان الله حتى على العصاة، نعم ليتك وزعت حبك أيها المؤمن على العصاة ليتعلقوا بك وليحبوك، خرج مالك بن دينار ذات ليلة بعد أن قام ما شاء الله أن يقوم من الليل فمر على رجل سكران وهو يقول: الله، رجعت الفطرة لتنطق فاقترب منه فوجد روائح الخمر تنبعث من فمه، هل ركله برجله؟ لا لقد ذهب إلى بيته وأتى بماء نقي طاهر وغسل الفم حتى يخرج اسم الله من فم طاهر فقط ثم عاد إلى بيته وبينما هو في بيته أو في نومه إذ سمع هاتفا يهتف به ويقول يا مالك طهرت فمه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من أجلك، حب رباني عال وحب هنا، حب هناك وحب هنا، لا يدوم هذا الحب هنا إلا إذا تحقق ذلك الحب هناك، هذا هو الحب الذي لا ينتهي. جيء إلى الحبيب المصطفى ﷺ برجل كان يشرب الخمر ويقيم عليه الحد كلما شرب الخمر فإذا بأحد الصحابة يقول لعنة الله على هذا فما أكثر ما يؤتى به، فقال ﷺ: "لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله" ولذلك فإن العرب لم تجد كلمة جامعة للحب إلا هذه لأن هذه الكلمة جمعت الحروف كلها التي تتركب منها الكلمات العربية فالحاء من أقصى الحلق والباء من أقصى الشفتين، إنه "حب الضم" هل تضم هؤلاء إلى صدرك؟ هل تدخلهم إلى قلبك حتى يذوب هؤلاء بذلك الحب الذي تصبه عليهم فيتنقون ويتزكون فإذا بهم ينقادون إلى الله بهذا الحب الذي أرسلته إليهم؟ ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبكم﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يات الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ سيتولون تربية البشرية كلها ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يات الله بقوم﴾ هل قال يصلون يزكون يصومون يحجون؟ ﴿يحبهم ويحبونه﴾ الانطلاقة من الحب. تربيتنا للبشرية كلها إنما تكون من الحب الذي له صفة عليا لا حدود لها لأنها من الله وصفة دنيا تغطي البشرية كلها ﴿يحبهم ويحبونه﴾ فنتج عن ذلك ﴿أذلة على المومنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي لذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له
فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاك

الإخلاص هو الذي يحول المربي إلى نائح ينوح حيث ما حل وارتحل ينوح بليله بكاء على الله وينوح بنهاره خطابا لهذا المربى وحين يشعر هذا المربى بهذه الحرقة التي يعانيها المربي لابد أن يستجيب

هذه إذن هي الخصائص المتعلقة بالمربي

2 – خصائص المنهج :

خصائص المنهج خمسة وهي: التدرج والاعتدال والشمولية والتكاملية ومراعاة الفوارق.

• **الخصيصة الأولى : التدرج :** كل شيء في هذا الكون يقوم على التدرج؛ رب العالمين يربي سبحانه وتعالى هذا الكون كله بالتدرج، ترى سنة التدرج انطلاقا منك أنت، مررت بأطوار ولا بد من هذه الأطوار وأنت تربى من الله الواحد القهار ثم كذلك كل ما تراه عينك في هذا الوجود ترى فيه سنة التدرج فلا بد لك إذن من السير على هذه السنة المطردة الجارية التي تبدو في كل ما حولك حتى عندما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق السماوات السبع والأرضين السبع خلقها بالتدرج في ستة أيام.

• **الخصيصة الثانية : الاعتدال:** لا تفريط ولا إفراط الاعتدال سلوك الوسطية في التربية حتى يتربى المربى تربية وسطية معتدلة ليس فيها ميل لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط. والناس في هذا الباب ما بين مُفرط ومُفرط، وقليل من يسلك هذا المسلك الذي هو مسلك الوسطية. ومن ثم قال الله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ ومدح الله ذلك المربي الذي قام في إخوته يريد أن يربيهم على الوسطية فقال سبحانه وتعالى ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ لأنه سلك المسلك الوسط فاستحق أن يحمد عند الله سبحانه وتعالى هذه الوسطية من هدي إليها وألهمها فتربيته هي تربية ناجحة، والنموذج في ذلك تربية رسول الله ﷺ وتربية الصحابة الكرام.

• **الخصيصة الثالثة : الشمولية:** هذا المنهج الذي أكرمنا الله تعالى به نحن هذه الأمة هو منهج شمولي بمعنى أنه يتناول تربية الإنسان في أطواره كلها منذ أن يكون جنينا في بطن أمه إلى أن يخرج إلى الوجود، وفي مراحل طفولته وشبابه وشيخوخته، كل نواحي الإنسان يتناولها بالتربية بل الإنسان نفسه يتناوله من كل جانب وهذا هو المراد بالخصيصة الأخرى التي هي:

• **الخصيصة الرابعة : التكاملية :** لأن هذا المنهج الرباني الذي أكرمنا الله تعالى به يربي الإنسان روحا ويربيه عقلا ويربيه قلبا ويربيه جسدا، فهو شامل لهذه الجوانب كلها حتى لا يطغى جانب على جانب، يكون عنده حظ من التربية القلبية وحظ من التربية العقلية وحظ من التربية الروحية وحظ من التربية الجسدية حتى يكون متكاملا لا يطغى فيه جانب على جانب وهذه هي الصورة الكمالية والصورة الجمالية للتربية.

• **الخصيصة الخامسة : مراعاة الفوارق:** فلا يخاطب هذا بمثل ما يخاطب هذا؛ فهناك مستوى لا بد أن يستوي فيه الجميع، وهناك فوارق، ولنا أسوة في تربية المصطفى ﷺ حيث وجه كل واحد من الصحابة لما يليق به فهذا موجه للعلم وهذا موجه للفقه وهذا موجه للقرآن وهذا موجه للجهاد وهكذا التربية النبوية التي تتجلى في الصحابة حيث يوجه كل واحد لما يليق به ليحقق الهدف المنشود ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ وقال ﷺ : "كل ميسر لما خلق له" وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أصل هذه المادة محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بلمدني، في إطار الأنشطة التي ينظمها مركز التوثيق والأنشطة الثقافية التابع للمندوبية الجهوية للشؤون الإسلامية لجهة مكناس تافيلالت، بتاريخ 25 ربيع الثاني 1436 الموافق لـ15 فبراير 2015.

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

التنصير تحريف للحقيقة ونشر للباطل

ذ.عبد العلي الوالي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وصل اللهم وسلم على آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين. وبعد:

لقد من الله تعالى على أمة الإسلام بإرسال محمد ﷺ هاديا للناس ومخرجهم من الضلالة إلى الهدى، إلا أن الإنسان قد يصاب بالعجب حين يرى أتباع هذا الدين الحق متقاعسين عن نشره والذب عنه، في حين أن أهل الخرافات وعلى رأسهم النصارى في نشاط دائم وعمل مستمر من أجل توسيع رقعة أتباعهم، وإبعاد الناس عن العقيدة الصحيحة، يذكر محمد أعراب في كتابه "التنصير هذه الوثنية الخفية" أن أحد العائدين من ديار المهجر أخبره "أن امرأة نصرانية استوقفته فأهدت له مجموعة من الكتب، ثم دعته إلى النصرانية، فقال لها: إنه مسلم مؤمن بعيسى بن مريم رسول الله، وأن عقيدة المسلمين فيه أنه عبد الله ورسوله وليس ابن الله ولا أحد ثلاثة (الأب- الابن – الروح القدس) فكيف تدعون المسلمين إلى ترك الإيمان الصحيح بعيسى عليه السلام ليعتنقوا هذا الثالوث؟ قال أعراب: فأجابته إجابة حسنة غير متوقعة :"هل قدمت لي شيئا فرفضته؟ " فسكت!!(1).

فهذه الحادثة وغيرها . كثير. (2) تؤكد لنا أن من أهداف النصارى التركيز على تنصير المسلمين خاصة، وأكبر دليل على ذلك مؤتمر كلورادو بأمريكا سنة 1978م الذي اتفق فيه قساوسة النصارى على تنصير كل المسلمين وطي صفحة الإسلام (3).

- معنى التنصير :

لغة : تنصر الرجل: دخل في النصرانية، ونصره تنصيرا: جعله نصرانيا (4).

اصطلاحا: عرف بعدة تعاريف، إلا أن هذه التعاريف (5) ركزت على جوانب دون أخرى:

– فبعضها حصر التنصير في الجانب السياسي الاستعماري؛

– وبعضها حصره في دولة أو جهة معينة؛

– وبعضها ربطه بانتهاء الحروب الصليبية؛

وقد حاول محمد بن موسى في كتابه التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات التفاعلية تعريف التنصير تعريفا جامعا، قال: "التنصير بذل المجهود لإدخال غير النصارى في النصرانية" (6)، وفي نظري أنه ينبغي إضافة عبارة "مع التركيز على العالم الإسلامي" لهذا التعريف، باعتبار أن هذا العالم يعتبر العقبة الوكداء بالنسبة للنصارى.

- معنى التبشير :

لغة: البشارة: الإخبار بالأمر السار، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وتكون بالشر إذا قيدت كما في قوله تعالى:﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ (7).

اصطلاحا:جاء في قاموس الكتاب المقدس:" المبشر من يعظ ببشارة الخلاص متنقلا من مكان إلى آخر، لا يستقر في مكان مخصوص، إنما همه التجول، يعظ بالإنجيل ويؤسس الكنائس باسم المسيح" (8).

- معنى الكرازة :

لغة: في معاجم اللغة العربية لا تعني مادة كرز ما يقصده النصارى، بل لا وجود فيها لمصطلح الكِرازة والتكريز، قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط : "كرز يكرز كروزا: دخل واستخفى، وكرز إليه: التجأ ومال..." (9).

اصطلاحا: الكرازة:" المناداة علنا بالإنجيل العالم غير المسيحي" (10).

كيف انتقلت النصرانية من دين حق إلى أباطيل؟

مما لا شك فيه أن الله تعالى بعث عيسى عليه السلام رسولا، فأوحى إليه كما أوحى لباقي الأنبياء والرسل، إلا أن رسالته خضعت لتغير كبير جدا، فانتقلت من دين حق إلى خرافة، فكان ذلك عبر مراحل :

● **المرحلة الأولى :** أول من غير في المسيحية هو شاؤول اليهودي، الذي كان عدوا لسيدنا عيسى عليه السلام وأتباعه، ولم يكن من حوارييه، ولما رفع عيسى عليه السلام تحول إلى المسيحية، فأعلن فكرة المسيح ابن الله، وابتدع ما يسمى باللاهوت والناسوت (11)، وأن ابتداء الابن من مريم اصطفي ليكون مخلصا للجوهر الإنسي (12).

● **المرحلة الثانية :** توسعت الدولة الرومانية وتنصرت على الطريقة الوثنية حسب تعاليم بولس، بل أصبحت النصرانية الدين الرسمي للدولة، فاحتدم الصراع بين المتمسكين بما كان عليه عيسى عليه السلام وبين بولس وأشياعه.

ولما تنصر الإمبراطور قسطنطين ، وأراد تأييد الكنيسة، دعى إلى عقد مؤتمر نيقيا سنة 325م، ضم هذا المؤتمر أكثر من ألفي رجل دين من مختلف المذاهب المسيحية، وكان الهدف منه الرد على أريوس، الذي كان يرى أن عيسى عليه السلام رسول وليس إلها، ولما كان أغلب الأساقفة والآباء الروحانيين يميلون إلى رأي أريوس، فض الاجتماع لأنه كان يميل لرأي أثناسيوس، ثم أعيد انعقاده بحضور تسعين وثلاثة مائة منهم فقط، وتم تأييد رأي الكنيسة، وهذه بعض قراراته:

– إقرار عقيدة التثليث وألوهية المسيح وأنه المخلص؛

– القضاء على جميع الكتب المقدسة التي تتعارض مع قرارات المؤتمر.

● **المرحلة الثالثة:** تميزت هذه المرحلة بعودة المسيحيين إلى عقيدة التوحيد، لأن الإمبراطورة قسطنطينة كانت على مذهب أريوس، فاستطاعت إقناع الإمبراطور بقبول مذهبه، فطرد أثناسيوس واستدعى أريوس لزيارة القسطنطينية ما بين سنة 325م و326م. وبعد مدة قصيرة ارتدت الكنيسة إلى عقيدة التثليث الوثنية، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن، والنصرانية على هذا الاعتقاد الفاسد (13)، وقد تحدث القرآن الكريم عن كفرهم في قوله تعالى:﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ (14).

عقيدة النصارى التي يبشرون بها :

لقد أحسن محمد أعراب حين قال بعد حديثه عن عقيدة المنصرين:" ولا يليق هذا بالنصارى وبخاصة في عصرنا هذا، عصر العلم والنور، وهم من هم في العقل والبحث العلمي، ولكنهم انحطوا في الفكر الديني بسبب التقليد الأعمى للسابقين الذين وقعوا في هذا الغلو والشطط حتى حرفوا به دين المسيح" (15).

وقال أيضا أنسليم تورميدا عن عقيدة النصارى المحرفة :"هذه العقيدة يمكن أن تكون تسلية للأطفال، ولا يصح أن تكون عقيدة الرجال الأذكياء" (16).

قلت: والحق أنها لا تصلح حتى للتسلية، بل هي عبارة عن مقولات باطلة تستخف بخالق الكون، ولبيان ذلك أوجز لك أيها القارئ الكريم مقولاتهم حول عقيدتهم من خلال بعض ما ذكره ابن حزم الظاهري عن فرقهم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل:

فمن فرقهم الملكانية: ادعت أن الله تعالى ثلاثة أشياء: أب . وابن . وروح القدس، كلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيءٌ من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما معاً شيءٌ واحد.

ومن فرقهم النسطورية (17): قالت مثل ذلك سواءً بسواء إلا أنهم قالوا إن مريم لمْ تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله، تعالى الله عن كفرهم.

ومن فرقهم اليعقوبية: قالت إن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل. وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد محدثاً، وأن المحدث عاد قديماً، وأنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولاً به (18).

فمن السخافة إذن التي يسخر منها حتى الصبيان، أن يحل خالق الكون سبحانه في رحم امرأة في هذه الأرض التي نسبتها إلى سائر ملكه لا شيء، ثم يكون بشرا يأكل ويشرب ويتعب، ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر، ثم يأخذه أعداؤه بالقهر والإهانة فيصلبوه مع اللصوص ويجعلوه ملعونا (19).

الحقيقة التي لا غبار عليها :

إن الحق الذي لا يشك فيه عاقل ولا أحمق (20)، هو أن المسيح عليه السلام رسول الله وعبده، أرسله الله تعالى لتبليغ الرسالة، فنفذ ما أُمِر به بكل أمانة ومسؤولية، إلى أن رفعه الله تعالى إليه، ويمكن تأكيد هذه الحقيقة بما ورد في بعض الأناجيل وأكده القرآن الكريم:

– روى يوحنا في إنجيله قول عيسى عليه السلام:" وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (21).

قال رشيد رضا معلقا على هذا النص:" لو لم يكن عندهم من النصوص في عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح إلا هذا النص الذي رواه يوحنا في إنجيله لكفى" (22).

– في إنجيل مرقس:" وفيما هو خارج إلى الطريق، ركض واحد، وجثا له، وسأله:« أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟» فقال له يسوع: « لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله. » (23).

في قول عيسى عليه السلام –كما أشار لذلك تقي الدين الهلالي- " ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله" اعتراف بعبودية المسيح لله تعالى، لأنه أراد بالصالح الكامل الذي لا يعتريه النقص بحال، وليس ذلك إلا لله تعالى" (24).

– وفي القرآن الكريم كل المخلوقات ترجو رحمة الله، ومنهم عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ (25). قال ابن عباس ومجاهد: هم عيسى وعزير والملائكة وغيرهم" (26).

---

1 – التنصير هذه الوثنية الخفية، من إصدارات فرع رابطة علماء المغرب ط: 1. ص : 124

2 – اكتشاف إحدى الأستاذات بمدرسة عمر بن الخطاب بتاوريرت مجموعة من الوثائق النصرانية في حوزة إحدى التلميذات.(جريدة التجديد ع: 501.).

3 – الغارة الجديدة على الإسلام لمحمد عمارة، شركة نهضة مصر، ص: 50.

4 – الصحاح للجوهري، دار العلم للملايين، ط: الرابعة، ص: 2/ 829.

5 – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص: 2/665 . أضواء على التبشير والمبشرين لسلامة عبد المالك ص: 22 . الموسوعة العربية العالمية، ص: 7/ 249.

6 – كتاب التنصير عبر الخدمات التفاعلية، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الملك سعود، ص: 16.

7 – مختار الصحاح للرازي، مادة بشر.

8 – قاموس الكتاب المقدس، مفردة المبشر.

9 – القاموس المحيط للفيرو أبادي، مادة كرز.

10 – التنصير عبر الخدمات التفاعلية، ص: 17

11 – أي أن الطبيعة الإلهية اختلطت بالطبيعة البشرية في صورة عيسى عليه السلام.

12 – هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصار لابن قيم الجوزية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. ص: 171.

13 – الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري وناصر العقل، دار الصميعي، ط: الأولى، ص: 71.

14 – المائدة: 73.

15 – التنصير هذه الوثنية الخفية، ص: 27.

16 – لماذا اعتنقت الإسلام ص: 48.

17 – نسبة إلى البطريرك نسطور الذي كان بالقسطنطينية.

18 – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، دار الجيل، ص: 111.1/110.

19 – تفسير المنار، ص: 6/26.

20 – ذكرت الأحمق لأن الكثير من الحمقى يوحدون الله تعالى توحيدا صافيا من الشوائب.

21 – الفصل: 17.

22 – تفسير المنار، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص: 6/78.

23 – الفصل: 19، رقم 18.17.

24 – سبيل الرشاد في هدي خير العباد لتقي الدين الهلالي، ص: 1/149.

25 – الإسراء: 57.56.

26 – تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ص: 2/82.

من أوراق شاهدة

حقوق المرأة المسلمة 2/1

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

في تطورات متلاحقة وغير مسبوقة إلا في الحضارات الماضية حين تنذر بأفول لتعقبها حضارات أخرى، تتوالى بوتيرة جد سريعة أحداث مزلزلة طابعها اللافت الصراعات والتوترات داخل الدول بين طوائفها وأفرادها، وخارج حدود الدولة بين الدول والكيانات الرديفة، حيث انتقلت بؤرة الصراع من منطقة الشرق الأوسط إلى مناطق أخرى من العالم شملت آسيا وأوربا وإفريقيا وتنوعت بين صراعات حدود وصراعات سلطة، وصراعات طائفية دينية، وتقوت في نفس الآن بين فسحاتها صراعات تقليدية كصراع حقوق المرأة والرجل، وكل الحقوق الرديفة التي تم استنباتها لهدم الدول وتفتيت الكيانات المستقلة، وغدا المشهد شبيها بإرهاصات بداية سقوط أنظمة القرون الماضية تلك التي فصل في بذور أفولها الخالق سبحانه ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ (الكهف 59)، هو موعد إذن لا يتخلف يراه الربانيون بإشراقة الأمل في أن دولة الباطل إلى أفول، ويراه المجرمون توقيتا لإتمام أجندات سحل الناس ونهب خيرات الدول الآمنة.. وسياسة الشعوب بقوة النار والحديد، سوريا والعراق واليمن نموذجا.

والوتيرة التي تحدثنا عنها في بداية مقالنا تمور في مخاضها كل توابل التغيير الرباني القادم، وإزاء كل المظالم التي يكتوي بنارها المسلمون على وجه الخصوص، تظهر معالم مغبشة لانتصار الحق، وعلى سبيل المثال ففي الوقت الذي سرت فيه عدوى تعري نساء المسلمين بحجة الاحتجاج ضد أنظمة غير منصفة للمرأة وضد الديانة الإسلامية تحديدا، خرجت إلى الوجود جمعيات ومنظمات مناصرة لقضايا المسلمين ولبست نساؤها الحجاب تضامنا مع المرأة المسلمة وخرج مسؤولون غربيون معتبرون بتصريحات قوية تفضح سيناريوهات العنصرية الغربية في سعيها لتوريط المسلمين في قضايا إرهاب تمت صناعتها بدهاليز المخابرات الغربية (نموذج حادثة شارلي إيبدو). وفي الوقت الذي ظهرت فيه إلى الوجود حركة بيغيدا العنصرية بألمانيا والداعية إلى طرد المسلمين ، توالى اعتناق الغربيين للديانة الإسلامية واستقطابهم بآرائهم المنصفة حول المسلمين للحائرين من الأوربيين، وخرج عشرات الآلاف من الغربيين في تظاهرات مناصرة للمسلمين وقضاياهم، وفي الوقت الذي أريد فيه جعل المواقع الاجتماعية فيس بوك والتويتر .. الخ بؤرا لحبك مؤامرات ما سمي بالربيع العربي لتشتيت الدول العربية وإشاعة ما سمي بالفوضى الخلاقة فيها، انتشرت على هذه المواقع آلاف حملات تعرية مؤامرات تمزيق العالم العربي بالأشرطة والكلمة، وظهرت إلى الوجود قوات ردع لمسلمين اتخذوا هذه المواقع للهجوم على الدول التخريبية وتعطيل مؤسساتها، عبر نقرات حاسوب ذكية وصامتة، كما تم فضح سياسة الكيل بمكاييل التي تنهجها الدول التخريبية في مهاجمة المسلمين، وذلك من خلال الصورة، كما أظهر فرسان هذه المواقع من المسلمين بشاعة الاستعمار الجديد للمسلمين بواسطة عملائه، (نموذج ما يقع لإخواننا المسلمين من الروهينجا)، وغيرهم من الأقليات المسلمة التي تتم إبادتها في صمت غربي مريب، في الوقت الذي يتم فيه التطبيل لحقوق المرأة على سبيل الذكر، ويعنون بها المرأة الغربية.

أما العربية والمسلمة فإن مناسبات دولية كاليوم العالمي للمرأة تعتبر محطة ذهبية لإبراز مدى تأخرها، مع اختزال كل الحيف الواقع عليها في تخلف الدين الذي يدبر شؤونها. وقد استطاع فرسان الإنترنيت الإسهام بشكل فعال في شل هذا العدوان بإشاعة تعاليم الإسلام الطليعية حول المرأة..، تعاليم من شأنها إن طبقت تغيير معالم هذا النظام العالمي المبني في أساسه على استعباد المرأة وطمر كفاءاتها تحت ستار الحرية، والحال أن هذا الدين يختزن كل وصفات التحرير النسائي، وستتداعى أنظمة المظالم وموعدها قريب، وللحديث بإذن الله بقية.

إصـدارات

• نحو معجم تاريخي للغة العربية :

لأول مرة في تاريخ اللغة العربية يتم التأسيس لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية بعد سلسلة تجارب خلال القرن الماضي في مصر وتونس، فقد صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب : «نحو معجم تاريخي للغة العربية» تأليف جماعي قدم له د. عزمي بشارة، وقد جاء الكتاب في ثلاثة عشر فصلا مع تقديم وفهرس عام. ومادة الكتاب هي أعمال ندوة الخبراء الأولى التي عقدت بقطر يومي 10 و11 نونبر 2012 والتي شاركت فيها نخبة مميزة من اللغويين والحاسوبيين العرب من مختلف البلدان العربية (المغرب وتونس وموريتانيا ومصر ولبنان وسورية والأردن والسعودية).

وقد عنون د. عزمي بشارة تقديمه ب: «رب همة أحيت أمة» بين فيه كيفية ميلاد فكرة المعجم التاريخي للغة العربية، مبينا قيمة هذا المعجم : «على الرغم من التراث المعجمي الضخم الذي خلفه علماء اللغة العرب القدامى، وعلى الرغم من جهد المحدثين، فإن اللغة العربية ما تزال تعاني اليوم قصورا معجميا واضح المعالم مقارنة باللغات العالمية الحية، ومن أهم ملامح هذا القصور غياب معجم تاريخي للغة العربية الأمر الذي يمكن إنجازه من سد ثغرة غذا الغياب، ومواكبة تطور اللغة العربية علاوة على استيعاب هذه الألفاظ في مدونة واحدة، وسيسهم هذا الإنجاز في الارتقاء باللغة العربية إلى مصاف اللغات العربية التي تملك معاجم تاريخية متجددة»

وقد حدد المركز المدة الزمنية لإنجاز المشروع التاريخي في خمسة عشر سنة، عبر مراحل تاريخية من القرن الخامس ما قبل الهجرة إلى القرن الخامس عشر الميلادي.

وفي سبيل إرساء تصور نظري ومنهجي وتقني جاءت فصول الكتاب مبينة الإطار التصوري والمنهجي للمشروع، ودراسة التجارب الأخرى للمعاجم التاريخية للغة الفرنسية مثلا ومعجم فيشر، والمدخل المعجمي والمدونة اللغوية، والمدونات العربية المحوسبة، وآليات تطوير هذه المدونات المحوسبة، والبرامج الحاسوبية المستخدمة في بناء المدونات المعجمية وغيرها من القضايا النظرية والتطبيقية.

ومضة

عزاء.. وعزاء

يبكي بكاء مرا... يتصبر.. يدعو لها بالرحمة والمغفرة.. يواسيه الجيران والأصدقاء..

يتأخر تسليم جثمانها له.. يهرول بين المستشفى والمكاتب.. ينتظر الإجراءات الإدارية المعقدة.. يسانده أصدقاؤه.. يستغربون حين يكتشفون أن أمه توفيت منذ سنوات، وأن العجوز التي كان يؤويها ليست أمه، ولا قريبته... يستغربون أكثر أنه وزوجه وأبناءه كانوا ينادونها ب" أمي" .. لكن برهم بها كان فريدا.. كانوا يحبونها حبا كبيرا ويدلّلونها.. وكانت تبادلهم الحب والأمومة الحانية..!

ظل يبكي بعد الجنازة أياما.. يحاول أصدقاؤه مواساته.. وحده يعرف ما يبكيه.. يتذكر ذلك اليوم البارد، حيث وجدها تنتحب.. أخبرته أن زوجة أحد أبنائها أخذتها في سيارتها وألقت بها بعيدا أمام دار للعجزة.. أركبها سيارته وأعادها إلى ابنها.. لكنه رفض استقبالها أمام تعنّت زوجته.. اتصل بابنيها.. فرفضا إيواءها...!

تكفّل بها وأحسن إليها.. ما يحزّ في نفسه أن أبناءها لم يسألوا عنها قط، رغم أنه أمدهم بعنوانه ورقم هاتفه، اتصل بهم عند اشتداد مرضها.. عاود الاتصال بهم أثناء احتضارها.. صدمته إجاباتهم: "تلقينا فيها العزاء منذ سنوات.. ولئلا يسألنا عنها أحد، قلنا: سافرت بعيدا عند صديق قديم لأبي وماتت هناك..! "

بقلم :
ذة. نبيلة عزوزي

كعب بن زهير ولاميته "بانت سعاد"

د. فريد أمعضشو

لعلّ من عُيون الشعر العربي، في باب المديح النبوي، قصيدة "بانت سعاد" التي أنشدها كعب بن زهير بين يدي النبي ﷺ معتذراً ومادحاً، بعد ما كان ﷺ قد أهْدَر دمه – لشعر صدَرَ عنه يحمل إساءة ظاهرة للدعوة الجديدة ولصَاحبها وللمؤمنين بها كذلك –، وقال لأصحابه؛ كما ورد في "الأغاني" مثلاً: "مَنْ لقيَ منكم كعْباً فلْيَقتُلْه". وقد تبوّأت هذه القصيدة الكعبية مكانة رفيعة في تاريخ الشعر العربي الإسلامي قديماً وحديثاً، فاحْتُفِيَ بها ألواناً شتى من الاحتفاء؛ على نحْو ما سنرى لاحقاً، وأعْجب بها الناسُ إعجاباً بلغ ببعضهم حَدَّ التبرُّك بقراءتها. وقبل خَصِّ هذا النص الجميل بوقفة، لا بأس من إلبدء بالترجمة لصاحبه بإيجاز كالآتي:

1 - نَبْذة عن كعب بن زهير :

لا تقدّم لنا كتب التراجم والسِّير والأدب معلومات وافية ودقيقة عن تاريخ ولادة كعب، ولا عن تاريخ وفاته كذلك. ولكنّ الثابتَ أنه جاهليٌّ أدرك الإسلام، فهو – إذاً– من المُخَضْرَمين، توفي في إمْرَة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (41 – 60 هـ)، الذي بذل له مالا وفيراً مقابلَ الحصول على البُرْدة التي أعطاها النبي ﷺ لكعب حين أنشده "بانت سعاد"، ولكنه أبى واستمسك بتلك الهدية النبوية الغالية. ولما توفي كعب، ألحّ معاوية في الحصول عليها من ورثته، فباعوها له مقابل 20 ألف درهم، وكان الخلفاء الأمويون يلبسونها في العيدين؛ كما رُوي عن أبان بن عثمان بن عفان.

كعبٌ هذا هو ابنُ الشاعر الجاهلي المعروف زهير بن أبي سُلْمى؛ صاحب "الحَوْليات" والأشعار الحكَمية الحَصيفة والمعلقَة الشهيرة، من قبيلة مُزَيْنة. وقد كان شاعراً "فحلا مُجيداً، وكان يحالفه أبداً إقتار وسوءُ حال"؛ كما ذكر ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) في "الشعر والشعراء" (153/1). وَضَعه ابن سلاّم الجُمَحي (ت 231هـ) في الطبقة الثانية من الشعراء الجاهليين، بعد أوس بن حجر بن عتّاب وبشْر بن أبي خازم، وقبل الحطيئة الذي عُرف عنهَ رواية أشعار آل زهير، واعترافُه بشاعرية كعب وبمكانته المتقدمة في دنيا الشعر العربي، وهذا ما يكشفه قوله مخاطباً كعْباً: "قد علمتْ روايتي شعرَ أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفُحول غيري وغيرُك، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسَك، وتضعُني موضعاً بعدك، فإن الناس لأشعاركم أرْوى، وإليها أسْرع، فقال كعب:

فمَن للقوافي شانها مَنْ يحوكُها
إذا ما ثوَى كعْبٌ وفوّز جَرْوَلُ؟
يقول فلا يَعْيَى بشيءٍ يقـوله
ومن قائليها مَنِ يُسيء ويَعملُ
كفيْتُك لا تلقى من الناس واحداً
تنخَّلُ منها مثلَ ما يتنخَّـــلُ
يُثقفها حتى تَلِين متـــونُها
فيَقصُر عنها كلُّ ما يُتمثَّـلُ"

(طبقات فحول الشعراء، 104/1 – 105)

وكعبٌ، كذلك، شاعر بدوي مطبوع، كان له اقتدارٌ عجيب على قول الشعر على البديهة والارتجال، من غير استعداد أو تهيئة قبلية. وكان أبوه أستاذَه الأول، في هذا الإطار؛ فقد أجازه بقرْض الشعر لمّا استيْقن من شاعريته وتأكّد، بعد سلسلة من الاختبارات العملية التي تَرْويها لنا كتب الرُّواة والأخباريين. ومشياً على عادة الأقدمين في اشتراط بعض الشروط لحصول المَلَكة الشعرية لدى الشاعر، فقد بدأ كعب بحفظ آلاف من الأبيات، ورواية أشعار الفطاحل، وفي مقدمتهم زهير بن أبي سُلمى نفسُه، الذي كان "مدرسة" في الشعر العربي على عهد الجاهلية، وكان كعب واحداً من خرِّيجيها المتألقين. والواقعُ أن قول الشعر كان متأصِّلاً في بيت زهير وأجداده وأبنائه، ممتدّاً فيه عبر كثير من حلقاته وأفراده. قال ابن سلام: "ولم يزل في وَلَد زهير شعر. ولم يتّصلْ في وَلَد أحد من فُحول الجاهلية ما اتّصل في ولد زهير، ولا في وَلَد أحد من الإسلاميين ما اتصل في ولد جَرير" (110/1). وبالفعل، فقد كان والد كعب شاعرا جِهْبذاً، وكان جده المكنّى بأبي سُلمى شاعراً، وعمّتُه شاعرة كذلك، وخالُ أبيه بشامة بن الغدير شاعراً مُجيداً. وكان أخوه بُجَيْر شاعراً، وابنه عقبة المُضرَّب شاعراً، وحفيدُه العوّام شاعراً أيضاً.

فكعب، إذاً، سليلُ بيتِ شعرٍ عريق، كان ذا إشعاع في الجاهلية وصدر الإسلام معاً؛ الأمرُ الذي ترك أثراً مؤكّداً في الشاعر، وأعان على تفتيق موهبته الشعرية مبكراً. وقد أكثر كعب من قول الشعر في غرض الوصف حتى عُدَّ من الشعراء الوصّافين الكبار؛ إذ برع في وصف الذئب على غرار الشنفرى وحُمَيْد بن ثور الهلالي والشريف الرضي وآخرين ممّن عُرفوا في هذا المجال، ووصَف، أيضاً، الناقة والصيد ووَحيش الصحراء، فضلاً عن موصوفات أخرى كثيرة. على حين قلّ شعره في الأغراض الأخرى؛ من مدح، وهجاء، ورثاء... وشعرُه الغَزَليّ لم يكن يتجاوزُ مطالع جملة من قصائده؛ إذ لم يُعرف عنه إفراد قصائد بأكملها لموضوع الغزل أو النَّسيب. ولا مناص من الإشارة، ها هنا، إلى أن قدْراً من شعر كعب قد ضاع؛ كما يؤكد عددٌ من الدارسين، ولا سيما ذلك الذي قاله، قبل إسلامه، في التعرض إلى الدين الإسلامي والنبي ﷺ وصحابته الكرام. ويتضح لمَنْ يتصفح مجموع أشعاره، المُتضَمَّنة في ديوانه المطبوع، أن تحولا مفصلياً طال شعره، بعد أن أسلم وحسُن إسلامه، إذ أضحى يصدر فيه عن عقيدته الجديدة؛ فجاء مليئاً بالحكم والمواعظ والقيم المُثلى التي أدبَ إليها الإسلام.

ولإسلام كعب قصة معروفة ترويها مظانّ كثيرة بإفاضة؛ كما في السِّفْر السابع عشر من "الأغاني" لأبي الفرج الأصْبَهاني (ت 356هـ)، وفي الجزء الأول من "الشعر والشعراء" لابن قتيبة... إذْ نقرأ في هذا الأخير الخبَر الآتي عن إسلام كعب، وكيفية حصوله ومكانه وما رافَق ذلك من ملابَسات ووقائع: "كان أخوه بُجير أسلم قبله، وشهد مع رسول الله ﷺ فتْح مكّة، وكان أخوه كعب أرسل إليه ينهاه عن الإسلام، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فتواعده، فبعث إليه بجير فحذّره، فقدم على رسول الله ﷺ، فبدأ بأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلمّا سلّم النبي ﷺ من صلاة الصبح جاء به وهو متلثّمٌ بعمامته، فقال: يا رسول الله، هذا رجلٌ جاء يُبايعُك على الإسلام، فبسَط النبي ﷺ يدَه، فحَسَر عن وجهه، وقال: هذا مقام العائذ بك يا رسول الله، أنا كعب بن زهير، فتجهّمتْه الأنصار وغلَظتْ له... وأحبّت المهاجرَة أن يسْلم ويُؤمنه النبي ﷺ، فآمّنه، فأنشده: بانَت سعاد (القصيدة)". (153/1)

2 - وقفة مع قصيدة "بانت سعاد":

إن هذه القصيدة الكعبيّة نَتاجُ – كما قلنا قبل قليل – سياق محدّد يجعلنا نُدْرجها ضمن فن "الاعْتذاريات" في الشعر العربي؛ بحيث أنشدها صاحبُها بين يديْ رسول الله ﷺ، وبحضور عدد من الصحابة الكرام، داخل المسجد، عقب صلاة الصبح؛ وذلك بعد اقتناعه بضرورة القدوم على النبي ﷺ، الذي كان قد أهدر دمه ودمَ مجموعة من الشعراء المشركين الذين كانوا يُؤذونه ويؤذون أصحابه، وإعلان توبته، وطلب العفو، لا سيما بعد توصُّله برسالة من أخيه بُجَيْر الذي سبق إلى الإسلام، يَحثه فيها على أنْ يقصد سريعاً النبي ﷺ تائباً نازعاً، ويُبشره بأنه يقبل توبة مَنْ جاءه يطلب الصفح. وإذا لم يُلبِّ الدعوة، فإنه يظل عرضة، في أي حين، لملاقاة المصير الذي لقيه شعراء الشرك الآخرين الذين كان النبي ﷺ قد أهدر دمهم. فقد جاء في نصّ الرسالة التي بعث بها بجير إلى أخيه كعب؛ كما وردت في شرْح السُّكّري على ديوان كعب، ما يأتي: "إن النبي ﷺ يهمّ بقتل مَنْ كانوا يُؤذونه من شعراء المُشركين، وإنّ ابن الزِّبَعْرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربا؛ فإنْ كانت لك في نفسك حاجة فاقْدم على رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً، وإنْ أنتَ لم تفعل فانْجُ إلى نجائك من الأرض". ولمّا توصل كعب بكتاب أخيه هذا، فكّر مليّا، وأدرك أنه مقتول لا محالة وأنه لا مَهْرب له، ارتأى أن يَنْتَصح بنصيحة أخيه، فأتى النبيَّ ﷺ مُبايعاً ومُعْتذراً بهذه القصيدة؛ فقبل توبته، وأمنه، ورحّب به المهاجرون، إلا أن بعض الأنصار غلَظوا له، وهمُّوا بقتله، ولكنّ النبي ﷺ منعهم من ذلك؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله. وثمة حالاتٌ أخرى شبيهة بحالة كعب في علاقتها بالدين الجديد، منها حالة الشاعر أنس بن زنيم الكناني الذي كان قد هجَا النبي ﷺ، فأهْدَر دمه؛ الأمرُ الذي جعله يقْدم عليه معتذراً بداليّة ممّا ورد فيها قولُه في مدح الرسول:

فما حملتْ من ناقة فوق رَحْلها
أبرَّ وأوْفى ذِمّةً من مُحَمَّـد

فعفا عنه النبي ﷺ.

تقوم قصيدة "بانت سعاد" على ثلاث وَحْدات دلالية كبرى. فأما أولاها فتستوي على الاثني عشر بيتاً الأولى من القصيدة، وموضوعُها غزلي، يتمحور حول "سعاد" التي بانت ورحلت بعيداً عن الشاعر، دون أن تحفظ العهد الذي عاهدت عليه حبيبها، وهو الوصال طِوالَ أيام حياتهما، ودون أن تراعيَ مشاعره إطلاقاً؛ الأمر الذي آلَمَهُ وترك في أعماقه جرحاً غائراً. وقد يسأل أحدُنا هنا: ما موقع هذا الغزل في قصيدة موجهة، أساساً، لمدح النبي ﷺ، والاعتذار إليه؟ الواقع أن كعباً لا يقصد، هنا، الحديث عن فتاة بعينها، والتغزل بها أيّا كانت طبيعة هذا التغزل، بل إن ذلك تقليد فنّي ليس إلاّ، درَجَ عليه شعراء العرب منذ الجاهلية، لعدة اعتبارات تطرّق إلى بيانها كثير من نقادنا قديماً وحديثاً. إذ كان من شروط المدائح لديهم أن تُستهَلّ بالغزل؛ كما أكد أبو الطيب المتنبّي (ت 354هـ) بقوله: "إذا كنتَ مادحاً فالنَسيبُ المُقدَّم".

وأما الوحدةُ الثانية فتمتدّ على الأبيات التسعة عشَر الموالية، وفيها يصف كعب، وصفاً مفصّلاً، الناقة بتوظيف معجم يمتح مفرداته من قاموس الجاهليين. وكان هذا أيضاً مظهراً من مظاهر القصيدة العربية القديمة التي كان يلي فيها المقدمة الغزلية أو الطلَلية مقطعٌ شعري يُخصَّص لوصف الرحلة والراحلة، قبل الانتقال إلى الغرض الرئيس الذي من أجله نُظِمَت القصيدة.

وأما الوحدة الأخيرة فهي محورُ القصيدة رُمَّتها، وإنْ تأخّرتْ من حيث ترتيبُها. وفيها يمدحُ كعب النبيَّ ﷺ بجملة من خِصاله وصفاته؛ كالعفو عن المُسيء، والدعوة إلى الهداية، والعدل بين الناس. ويُعلن أمام الحاضرين جميعاً توبته ومبايَعَته الرسولَ ﷺ، وأنه لم يُذْنب ولو كثرت عنه أقاويل الوُشاة والحُسَّاد. ومن أبرز أبيات الوحدة قوله: [من البسيط التامّ]

إنّ الرسول لَسَيفٌ يُسْتضاءُ به
مُهنَّدٌ من سُيوف الله مسْلولُ

ويظهر فيها، بجلاء، مدى تأثر كعب بالدين الجديد، كما نلمس في بعض أجزائها الطابَع الحِكْميّ الذي يذكّرنا بأشعار أبيه زهير. ومثالُ ذلك قولُه:

فقلتُ: خَلّوا طريقي، لا أبا لكمُ
فكل ما قدّر الرحمنُ مفعولُ
كلُّ ابن أنثى، وإنْ طالت سلامتُهُ
يوماً على آلة حَدْباءَ محمـولُ

وخصَّ كعب، كذلك، المهاجرينَ بأبيات مَدَحَهم فيها بالبسالة، والاستماتة في الدفاع عن الإسلام، والإقبال على الاستشهاد في سبيل الله تعالى دون خوف. على حين لم يفعل ذلك قطّ مع الأنصار، بل عرَّض بهم؛ لأنهم غلَظوا له، وقاموا لقتله، حينما جاء النبيَّ ﷺ معتذراً كما قلنا. إلا أن قريشاً (المهاجرين) أنكرت عليه ذلك، وقالت: "لم تمْدحنا إذ هجوتهم"، فقال فيهم رائيةً يمدحهم، ممّا ورد فيها:

مَنْ سَرّه شرفُ الحياة فلا يزلْ
في مقْنب من صالحِي الأنصار
الباذِلين نفوسَهم لنَبيّـــهم
يومَ الهياج وسطْوة الجبّار
يتطهّرون، كأنه نُسُكٌ لهم،
بدماء مَنْ عَلقوا من الكـفار

وقد أعجب النبي ﷺ، أيَّما إعجاب، بقصيدة "بانت سعاد"، فأجاز كعباً عليها بأنْ أعطاه بُردة كانت على جسده الشريف، وزاد على ذلك بأنْ منحه مائةً من الإبل؛ كما ورد في كثير من المصادر، وعُدَّ ذلك حجّة في جواز تقديم جوائز إلى الشعراء لقاءَ شعرهم الذي يستحقّ ذلك طبعاً. ولهذا أطلق على تلك القصيدة اسم "البردة"، وظلت واحدةً من أجود "القصائد المُلقَّبات" في تاريخ الشعر العربي. ولما نازعَتْها ميميّة البوصيري (ت 696هـ) هذا اللقبَ، صارت أعْرَف بين الناس باسم "قصيدة بانت سعاد". وإن البردة التي مُنحت لكعب جائزةً، ظلّ – طِوالَ حياته – محتفظاً بها، رافضاً العرْضَ المالي المُغْري الذي قدّمه مَعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مقابلَ بيعها له. ولكنّ إصراره على الحصول عليها أتى أكْلَه بعد وفاة كعب؛ إذ إنه سيَشتريها بمال وفير من بَنيه، وكان هو –وخلفاء بني أمية بعده – يلبسونها في العيدين. وذكر جُرْجي زيدان، في كتابه "تاريخ التمدُّن الإسلامي"، أن هذه البردة انتقلت إلى العباسيين، وظلوا يرعونها إلى حين سقوط بغداد في يد التّتار، أواسط القرن الهجري السابع؛ فقيل إنها وقعت في أيدي هؤلاء الغزاة المُخرِّبين فأحرقوها، وقيل إنها أُخفِيَتْ عنهم ونُقلت إلى مصر، وكانت في كلاءة سَلاطينها هناك، إلى أنْ استولى العثمانيونَ على أرض الكنانة، فأخذوها إلى عاصمة دولتهم لتُحفظ مع باقي الآثار النبوية التي يحتفظون بها هناك.

إن قصيدة كعب، كما رأينا، تمتاز بتعدد أغراضها وموضوعاتها؛ إذ نُلفي فيها غزلاً ووصفاً ومدْحاً. وقد سبق لطه حسين أن وقف عند هذه النقطة وفصَّل القول عنها في الجزء الثاني من كتابه "حديث الأربعاء". وكعب، في هذا الإطار، إنما يسير على نهج القصيدة العربية القديمة من حيث بناؤها العامّ. كما أنها تُذكر، باستمرار، ضمن شعر الاعتذار في أدبنا، بوصفها أنمُوذجاً ناجحاً له. وتجدر الإشارة إلى أن رفوف المكتبة النقدية العربية تحتفظ بجملة من الأبحاث والدراسات في هذا الفن الشعري العريق؛ مِنْ مِثْل كتاب "الاعتذاريات في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: عرض ودراسة ومقارَنة" لمحمد مختار جمعة (1994)، وكتاب "الاعتذاريات بين النابغة الذبياني وعلي بن الجَهم" لمحمد أحمد حجازي (2005)، وكتاب "اعتذاريات الشعراء للرسول صلى الله عليه وسلم" الصادر حديثاً، وبحْث "الاعتذاريات في الشعر العربي من عصر ما قبلَ الإسلام إلى نهاية العصر الأموي" لمحمود عبد الرزاق أحمد العاني؛ وهو عمل أكاديمي أعدّه الباحث لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب – جامعة بغداد، عام 1988، بإشراف د. عناد غزوان إسماعيل.

إنّ "بانت سعاد" تعد، في واقع الأمر، من أكثر القصائد العربية حظَةً باهتمام الدارسين والأدباء، في القديم كما في الحديث، متنا وسندا وخبرا. ومن مظاهر هذا الاعتناء بها تأليفُ شروح حولها ما بين مفصّل ووسيط ووَجيز، بلغت 76 شرحاً؛ حسبما ذكر أحمد الشرقاوي إقبال في كتابه القيّم "بانت سعاد وإلمامات شتّى" (1991)؛ منها شرحُ أبي سعيد السكري، المتوفى سنة 275 هـ، وهو أشْهَرُها، وشرحُ التبريزي، وشرح الجلال السيوطي، وشرح محمد البطاوري الرباطي. وكتب بعضهم معارضات عليها، تُحاكيها لغة وإيقاعا ومضموناً أحياناً؛ من مثل معارضة الشّمّاخ بن ضرار، ومعارضة الإمام البوصيري، ومعارضة ابن الضائع الأندلسي، ومعارضة أحمد فارس الشدياق. ومنهم شعراء قلّدوا القصيدة الكعبية في مُفْتَتَح قصائدهم؛ على نحْو ما فعل، مثلا، قيس بن ذريح (ت 68هـ) في لاميته التي أولُها:

بانت سعاد فأنتَ اليومَ متبول
وإنك اليوم بعد الحيّ مَخْبول

ولنا في الشعر العربي والإسلامي عدة تشطيرات وتخميسات على "بانت سعاد"؛ منها تشطير الرافعي الطرابلسي، وتخميس السهروردي الصوفي. ولم يقتصر الاحتفال بهذه القصيدة على العرب، بل اعتنى بها غيرُهم كذلك؛ كالفرس والمستشرقين، وتُرْجمت إلى لغات كثيرة، شرقية وغربية.

العلاقة بين الرجل والمرأة كما يريدها اللّه عز وجل

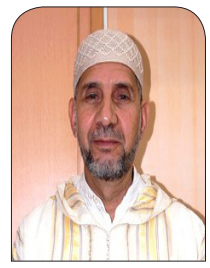

ذ . محمد شركي

إحياء اليوم العالمي للمرأة الذي يصادف الثامن من شهر مارس يأخذ أشكالا مختلفة تختلف باختلاف الخلفيات العقدية والثقافية. وكثيرا ما تستغل بعض الجهات المغرضة هذا اليوم فتقوم بمحاولة تلفيق تهمة إهانة الجنس اللطيف والاستنقاص من شأنه لشرع الله عز وجل. ولهذا ارتأينا الكتابة عن العلاقة بين الرجل والمرأة كما يريدها الله عز وجل في كتابه الكريم، وفي سنة رسوله ﷺ.

● أفعال الله الباري تعالى كلها حكمة :

وقبل الحديث عن هذه العلاقة لا بد من الانطلاق من حقيقة لا تقبل الشك أو التشكيك، وهي خلو أفعال الخالق سبحانه وتعالى من العبث مصداقا لقوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ ومعلوم أن العبث هو ما لا قصد ولا غاية له ولا فائدة من وراءه. وحين ينفي الخالق سبحانه العبث عما خلق بما في ذلك خلق الإنسان، فهذا يعني أن وراء خلقه غاية وقصد. وقوله تعالى: ﴿وأنكم إلينا ترجعون﴾ يعني أن الرجوع عودة، ولا تستقيم العودة عقلا ومنطقا إلا إذا كانت مسبوقة بجيئة أو مجيئة. والعودة منطقا وعقلا تنفي عن الجيئة العبث. ولا ينفي الله عز وجل العبث عن خلق الإنسان وحده بل عن خلق الكون برمته مصداقا لقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾. واللعب واللهو عبث وهما نقيضان للجد والقصد، وقد نفى الله تعالى اللعب واللهو عما خلق ونزه ذاته المقدسة عن ذلك .

● من الحكم الإلهية في تشريع الزواج :

ومن حكمة الخالق سبحانه أنه ضبط العلاقة بين بني الإنسان ذكورا وإناثا ضبطا دقيقا. وشاءت إرادته سبحانه وتعالى أن تكون هذه العلاقة هي علاقة الزواج التي اقتضاها القصد من خلق الإنسان وهو ما بين الجيئة والعودة من ابتلاء واختبار ينتهي بجزاء أو عقاب. وعلاقة الزواج هي الجمع بين زوج كل واحد منهما مع الآخر الذي هو من جنسه لغرض وقصد التكاثر الذي اقتضته إرادة الابتلاء والاختبار بعد الاستخلاف والاستعمار في الأرض. وعلاقة الزواج عند الإنسان تختلف عن علاقة الزواج عند غيره من المخلوقات الأخرى المتزاوجة حيث يقتصر التزاوج بين هذه المخلوقات على قصد واحد هو التكاثر في حين تتجاوز علاقة الزواج عند الإنسان هذا القصد إلى قصد آخر هو الاستخلاف والاستعمار في الأرض والابتلاء والاختبار فيهما. ولقد نص الله عز وجل على علاقة الزواج بين أول زوج خلق، وهما آدم وحواء عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾، ولم يصف حواء بوصف غير وصف الزوجة. ولم يقتصر هذا الوصف عليها بل جعله الله عز وجل وصفا لكل أنثى بعد ذلك، ولم يستثن من ذلك أحدا من خلقه إلا أم المسيح مريم العذراء عليهما السلام التي لم يجعل لها زوجا، ولم تكن زوجة لأحد، وكانت أما، وستبقى الأم العازبة الوحيدة في العالم. وكتب الله عز وجل الزواج على صفوة خلقه من رسل وأنبياء عليهم السلام أجمعين فقال جل شأنه: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ ولو كانت علاقة الزواج عبثا لنزه الله عز وجل عنها صفوة خلقه. وعن هذه العلاقة تنشأ باقي العلاقات مصداقا لقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ وقوله أيضا: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾، والنسب يكون عبارة عن ذكور ينسب إليهم، والصهر يكون عبارة عن إناث يصاهر بهن. وعن النسب والصهر تنبثق علاقات وتتشعب لينتهي بها الأمر إلى شعوب وقبائل. ومن أجل إنجاح علاقة الزواج جعل الله عز وجل أساسها المودة والرحمة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾، ومعلوم أن السكينة ميل وانجذاب قوامهما المحبة والرقة والتعطف. والسكينة بمودتها ورحمتها تجعل الأزواج يفضي أو يصل بعضهم إلى بعض، ويترتب عن ذلك ميثاق غليظ كما سماه الله عز وجل في قوله: ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾، والميثاق عهد مسؤول بين طرفين يكون الخالق سبحانه وتعالى ثالثهما يراقبهما ويضمن حق كل منهما، ومن هنا اكتسى الميثاق قوته وخطورته. وكتب الله عز وجل على علاقة الزواج المعروف والإحسان في حالتي وجوده وانفصامه معا مصداقا لقوله تعالى: ﴿إمساك بمعروف وتسريح بإحسان﴾، فما كان التسريح منه بإحسان فدوامه أولى بالمعروف.

● فاحشة الزنى والحكمة من تحريمها :

وإذا كان الله عز وجل قد أحاط علاقة الزواج بين الذكور والإناث بعنايته، وضبطه بضوابط، فإنه في المقابل منع كل أشكال العلاقات الخارجة عن إطار علاقة الزواج، وحذر الخلق منها وتوعدهم بصارم العقاب في العاجل والآجل مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾، والزنى علاقة أساسها الاتصال الجنسي خارج إطار الزواج، وهي علاقة لذة محضة لا مودة ولا رحمة فيها، إذ لو كان فيها شيء من ذلك لصارت زواجا، ولا يمكن أن يدعي من يمارس الزنى سواء كان ذكرا أم أنثى أنه يود ويرحم من يزني به، ولو كان وادا أو راحما لما رضي بعلاقة لا سكينة فيها ولا مودة ولا رحمة على الدوام، بل كل ما فيها شهوة شخصية عابرة سرعان ما تزول وتخلف الآثار السيئة في النفوس، وتؤثر أخطر التأثير على كل العلاقات المنبثقة عن الزواج، وفيها إهلاك للحرث والنسل. ومنع الله عز وجل كل أنواع العلاقات التي يكون أساسها الزنى أي اللذة الجنسية التي لا مودة ولا رحمة فيها، ومن ذلك علاقة المخادنة وهي المصاحبة السرية بغرض الزنى مصداقا لقوله تعالى: ﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ فالإحصان عفة، وهي نقيض دنية السفاح والمخادنة.

ولقد أقر الله عز وجل عيون خلقه بعلاقة الزواج مصداقا لقوله تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾، فالعيون إنما تقر بسكينة الزواج وما فيه من مودة ورحمة لا بلذة السفاح والمخادنة. ومن العلاقات المنحرفة عن علاقة الزواج والتي حرمها الله عز وجل إلى جانب السفاح عمل قوم لوط عليه السلام، والتي قال فيها الله عز وجل على لسان نبيه لوط عليه السلام: ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾، وجعل عقاب هؤلاء مدمرا مصداقا لقوله تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾.

> **إذا كان الله عز وجل قد أحاط علاقة الزواج بين الذكور والإناث بعنايته، وضبطه بضوابط، فإنه في المقابل منع كل أشكال العلاقات الخارجة عن إطار علاقة الزواج، وحذر الخلق منها وتوعدهم بصارم العقاب في العاجل والآجل**

ومنعا للسفاح والمخادنة وعمل قوم لوط والذي أصبح يسمى "زواج المثليين" في عصرنا، وتشجيعا على الزواج فتح الله عز وجل باب التوبة لعباده من أجل تصحيح كل انحراف يلحق علاقة الزواج مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا﴾، وهذا عرض سخي ومربح لكل من صحح انحرافه بترك العلاقات المنحرفة عن علاقة الزواج. ومعلوم أن الانحراف عن علاقة الزواج إلى غيرها إنما مصدره إبليس اللعين المخلوق الشرير الذي أقسم أن يغرر ببني آدم لينحرفوا عن الفطرة التي فطرهم الله عز وجل عليها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾.

ومع وضوح صيانة المرأة من خلال صيانة علاقة الزواج يأبى بعض المتحاملين على الإسلام إلا النيل منه واتهامه بأنه يستنقص من شأنها، علما بأن القائلين بذلك يفضلون العلاقات الفاسدة على علاقة الزواج، وهو أمر يثبته واقع الحال من خلال تشجيع المخادنة واعتبارها حرية من الحريات التي تستوجب الصيانة والاحترام، ومن خلال تشجيع السفاح والدفاع عن تداعياته من خلال الدفاع عما يسمى "الأمهات العازبات" وهن المسافحات ومتخذات الأخدان في الغالب باستثناء بعض ضحايا الاعتداءات الجنسية، ومن خلال الدفاع عما يسمى "زواج المثليين" أو العاملين عمل قوم لوط. وتتبنى العديد من الجمعيات والهيئات المحسوبة على حقوق الإنسان الدفاع عن هذه الأشكال الفاسدة من العلاقات التي تقوض علاقة الزواج وما يتفرع عنها من علاقات.

● من سبل الغواية والإغراء للمرأة :

مع شديد الحسرة والأسى تنساق الكثير من النساء في بلاد الإسلام وراء الدعوات التي تهدف إلى نسف علاقة الزواج واستبدالها بعلاقات فاسدة تحط من الكرامة الإنسانية. ومع أن صيانة الكرامة الإنسانية واضح أنها لا تتحقق إلا بالزواج فإن العديد من النساء يملن إلى غيرها من العلاقات المنحرفة. وكيف يمكن أن تثق المرأة في أصحاب خلفية الاعتقاد بعبثية الحياة وهو اعتقاد يستبيح كل شيء في هذه الحياة بما في ذلك الإنسان وعلاقاته المختلفة، وعلى رأسها علاقة الزواج التي هي أساس الحياة واستمرارها واستقرارها كمرحلة ابتلاء واختبار تعقبها مرحلة محاسبة وجزاء؟ فإذا أقرت المرأة بعبثية الحياة استساغت العلاقات المنحرفة عن علاقة الزواج لأن العبث يواجه بالعبث، وكذلك فعل الفلاسفة والمفكرون العبثيون فارتبط الذكور منهم بالإناث ارتباط مخادنة وسفاح وفق خلفيتهم العقدية. وكيف تثق المرأة بمن يستعمل جسدها وسيلة إشهار لتسويق المنتوجات المختلفة إذ لا يتم الترويج لمأكول أو مشروب أو مركوب أو غير ذلك إلا عبر جسد المرأة، وهو ابتذال فاضح لكرامتها، ومع ذلك تقبل عليه العديد من النساء لأن المستهدفين لكرامتهن بهذه الطريقة يزينون لهن ذلك ويبهرجونه تحت شعارات التقدم والتطور والحرية ... وتحت كل شعار مدغدغ لمشاعر خارجة عن سيطرة العقل الضابط؟

وفي المقابل كيف تصدق المرأة أن الإسلام حين يصون جسدها بما يستره، ولا يبتذله بإشهار أو غيره يهينها ويستنقص من شأنها ويحط من كرامتها؟ ونختم بحديث لرسول الله ﷺ وهو: "ما تركت بعدي من فتنة أضر على الرجال من النساء"، وهو حديث يلوي المغرضون من خصوم الإسلام بعنقه ويستدلون به عن سوء تأويل لاتهام شرع الله عز وجل بالاستخفاف بالمرأة واعتبارها مجرد فتنة، والحقيقة أن دلالة هذا الحديث بعيدة كل البعد عن الاستخفاف بالنساء بل دلالته تركز على تحذير الرجال دون النيل من النساء بشكل من الأشكال، ذلك أن لفظة فتنة لها معان متعددة فهي تدل على الإعجاب والميل والوله والضلال والصد والخلاف والاختلاف، فأية دلالة تفهم من الحديث؟ هل التحذير من إعجاب وميل ووله أم من ضلال وصد واختلاف؟ وتحذير الرجال من فتنة النساء الضارة هو تحذير من الانحراف بعلاقة الزواج بهن إلى العلاقات الفاسدة من سفاح ومخادنة، لقول الله عز وجل: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ وهل توجد فتنة أضر على الرجال من فتنة تفضي إلى الفاحشة وسوء السبيل؟

وأخيرا نختم بالقول إنه لا يمكن الجمع بين علاقة الزواج والعلاقات المنحرفة الأخرى لأنهما نقيضان لا يجتمعان، وإذا حل أحدهما نفى الآخر ونقضه، لهذا لا بد للذين زلت بهم أقدامهم ذكورا وإناثا من الاستفادة من فرصة التوبة النصوح قبل حلول ساعة الرحيل عن الدنيا عسى الله عز وجل أن يبدل سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورا رحيما، ومن تاب فإنه يتوب إلى الله متابا.

د. عبد المجيد بنمسعود

خروق في سفينة المجتمع

53 ـ التمييز ضد المرأة

إن قراءة متتبعة في مسار هذه الضميمة الاصطلاحية عبر تخلقها في ردهات الأمم المتحدة منذ 1948 إلى الآن، مرورا بما أطلق عليه «عقد الأمم المتحدة للمرأة» (1976 – 1985)، والذي اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة خلاله اتفاقية القضاء على مكافحة أشكال التمييز كافة ضد المرأة المتعارف عليها بالسيداو، تكشف عن كون جوهر القضية يكمن في مطلب المساواة بين الرجل والمرأة، حتى لا يفوت ذاك هذه ولو بقلامة ظفر في أي مجال أو ميدان. فلقد أصبح واضحا من خلال المعارك الضارية والمستميتة التي خيضت حول القضية منذ حوالي سبعة عقود من الزمن بأشكال متعددة ومتنوعة، أن المرامي البعيدة لهذه الحركة الجامحة والمحمومة، تتجاوز كونها مرامي إنسانية واجتماعية إلى كونها مرامي تستبطن معنى آخر ومقصدا آخر، يعبر عن رؤية فلسفية لم تعد تخفى على أي لبيب عارف بطبيعة الصراع الحضاري في العالم خلال الأزمنة الحديثة والمعاصرة، والتحولات الناجمة عنه على مستوى الأفكار والقيم: إنه مقصد عنادي مشاكس، يتمثل في الكفر جملة وتفصيلا بالرؤية المخالفة التي يعبر عنها الدين تجاه الرجل والمرأة، وما هو منوط بكل منهما من وظائف وأدوار في سياق العمران الإنساني، بما يحقق الأمن والسلام، وجميع غايات الاستخلاف بشكل عام.

وإن الذي يؤكد هذه الحقيقة هو أن الممارسات الظالمة المتمثلة في الثالوث المدمر والمهين (الفقر والجهل والمرض)، فضلا عن سياط الإهانة والاستعباد، لم تكن لتخص النساء دون الرجال، وإنما هي كانت وما تزال تلف بأجنحتها السوداء الجميع دون استثناء، بغض النظر عن اختلاف أو تفاوت المعطيات الإحصائية المتعلقة بهذا الجنس أو ذاك، وتلك مسألة أخرى لا علاقة لها بجوهر القضية. ويحضرني هنا مثال صريح يبرهن على صحة الأطروحة التي نحن بصددها، على مستوى المجتمع المغربي، مثال جاء على لسان نساء ينتمين لأحد التنظيمات التي تندرج تحت لافتة اليسار، فقد «أجمعت متدخلات في ندوة، نظمت أخيرا بمراكش (...) على أن «تحرير المرأة من وضعها اللاإنساني بالمجتمع، وتحقيق كرامتها كاملة، رهين بتأسيس نظام سياسي أساسه ملكية برلمانية، باعتبار أن هذا المدخل جوهري، وأكثر قوة من الجانب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، لأن هذا النظام يحد من سلطات الملك»(...) «وعابت المتدخلات خلال ذات الندوة، «الازدواجية التي تعيشها الدولة المغربية، في مقاربتها للتشريع للمرأة بين مؤسسات ديمقراطية، ومجالس علمية دينية، وتحكيم ملكي، كما تجلى ذلك في مشروع مدونة المرأة، التي لن تتحقق كرامتها إذا لم تشكل المواثيق الدولية أساس التشريع المغربي» (هسبريس 10 . 3 . 2015).

فالمسألة إذن ليست مسألة حيف يزاح عن كاهل النساء، يتعلق بكل الحقوق الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما كفله دين الإسلام للمرأة كما للرجل سواء بسواء، وإنما هي مطالبة بتمتيع المرأة بتلك الحقوق وزيادة، لا تحت مظلة الشريعة الإسلامية السمحاء، وقيمها الغراء، وإنما تحت مظلة المواثيق الدولية وقيمها الكونية، يعبرن عن ذلك بكل بجاحة داخل مجتمع مسلم، وبدون أدنى وازع من حياء.

هي مطالبة لا بالعدالة، وإنما بالمساواة –وليس المقصود هنا المساواة في الإنسانية– التي بمقتضاها لا يكاد يضع الرجل قدمه في محفل أو ميدان، في بر أو بحر أو جو، حتى يجد المرأة بجانبه، لا فقط لتسابقه، بل ولتسبقه وتبزه وتتجاوزه، فتلك أغلى الأمنيات، وأسعد الغايات، وللحقيقة لا بد أن نقول متسائلين: هل تتبنى هذا المطلب جميع النساء، وهل تجسر النسوانيات على الزعم بأنهن لسان حالهن؟ أم أنهن يمثلن الشذوذ عن الفطرة التي أصبحنا نلحظ بذورا وإرهاصات للعودة إليها، ممن تربين في حجورهن وجحورهن ورضعن من لبانهن هناك وراء البحار؟

إننا بمنطق السفينة لا بد أن نفهم مقولة «التمييز ضد المرأة» لا وفق المواثيق الدولية وقيمها «الكونية»، وإنما وفق منظور مخالف، يتعلق بالتنكر للمرأة أم البنين والبنات التي تصل الأيام بالليالي لإعداد الأجيال العتيدة التي تحفظ الفطرة، وتذود عن ميراث الحضارة والقيم الأصيل، المرأة التي ترعى الحمى وتذب عنه اللصوص من فساق الثقافة وعبيد الهوى والشيطان، والتي لولا جهادها واستماتتها وجلادها لتخطفتنا الشياطين، ولأكلتنا الذئاب منذ زمان. وإني لأذكر في هذا المقام المفكر البوسني المسلم، المجاهد والرئيس الفذ الأستاذ علي عزت بيغوفيتش رحمه الله الذي استغرب في أحد مقالاته مسلك الحضارة الغربية التي تحظى فيها مربية الأرانب والخنازير بأجر جزيل على اعتبارها موظفة منتجة، أما التي تنجب الرجال والنساء، وتتعهدهم بالتربية والتهذيب، فهي معدودة من العاطلين. وأستنكر في هذا السياق صنيع الإدارة عندنا التي جعلت الناس يقبلون راغمين تسمية قطاع أغلبي عريض من النساء باسم غريب» : «بدون» (SANS)، فهل كل الأعمال محترمة إلا عمل التربية وإعداد الأجيال؟ ألا ساء ما يحكمون.

إن سفينة المجتمع في منظور الإسلام تكون محكوما عليها بالانحراف والاضطراب والجنوح، إذا اضطربت فيها القيم وانقلبت فيها الموازين.

إن هذا الاضطراب والانحراف يحصلان في السفينة بشكل فظيع، إذا أهمل العدل لحساب التسوية أو المساواة بالمفهوم السقيم، ولن تغني البهارج والأضواء، ودغدغة العواطف الرعناء، سفينة منخورة عجفاء، تصفر فيها الريح العقيم، ويمسك بأعنتها قوم بليدة عقولهم، وأفئدتهم هواء.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون : 71).

مجرح رأي

...المؤتمر الاقتصادي... و المولد

ذ: عبد القادر لوكيلي

...رأيت فيما يرى الرائي «خيرا اللهم اجعله خيرا» أن الجبل الذي يريد الانقلابيون في مصر أن يأووا إليه ليعصمهم من الماء قد حال بينهم وبينه موج عظيم، فأغرق بعضهم، بينما بقي البعض الآخر متشبثا ب«شفا جرف هار» أو بعض أخشاب سفينة متهالكة، نجاهم ربهم حتى يكونوا لمن خلفهم آية...

أما الجبل –كما فسر لي بعض معبري الأحلام الصالحين – و الله أعلم– فهو المؤتمر الاقتصادي الذي تم تنظيمه بشرم الشيخ يوم الجمعة الماضي... والمؤتمر هذا يراد منه ستر ما بقي من سوأة القوم، ومناسبة لجمع ما تبقى من «الروز» في خزائن الإخوة في الخليج. أما الموج العظيم فتأويله –والله أعلم– هو تلك الأمواج البشرية المتزايدة التي تخرج كل يوم ترفض الانقلاب وتدعو إلى عودة الشرعية... تخرج بصدور عارية رغم القهر ورغم الظلم وعمليات القنص واغتصاب الحرائر في الطرقات وأقبية المخافر.

فالمؤتمر الاقتصادي الذي خاله الانقلابيون «عارضا مستقبل أوديتهم» فقالوا ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ ما هو في الحقيقة سوى حمل كاذب حتى يوحي القوم للعالمين أن زواجهم ب «أم الدنيا» كان شرعيا وها هي أولى ثماره... حتى إذا انفض الجمع وهدأت الأوضاع، عاشروا «أم الدنيا» في الحرام وخلّفوا منها بنين وبنات بالسفاح... فبالرغم من الاستعدادات اليومية والدؤوبة لإنجاح المؤتمر والتزيينات الهائلة لتغطية قبح الانقلاب... وبالرغم من اللوحة الإشهارية المعتمدة للمؤتمر والتي تتوسطها صورة خليعة رقيعة لفتاة «لابسه من غير هدوم» كما يقول المصريون، فجل الدول المشاركة في المؤتمر دول فقيرة جدا ولا يمكنها أن تنفق أو تستثمر شيئا في مصر... جيء بها من أجل تكثير العدد لا غير. إضافة إلى أن رمزية المشاركة كانت دون المستوى المطلوب فكثير من الدول شاركت إما على المستوى الوزاري أو على مستوى السفراء الموجودين في القاهرة. وكالعادة فأكبر الدول المشاركة والمانحة هي دول أصحاب «الرز» والذين يملكون أموال (متلتلة)... فهؤلاء ينفقون إنفاق من لا يخشى الفقر لعصابة استمرأت استعباد المصريين منذ أمد بعيد... وآلاف الأيتام والمشردين من حولهم يتضورون جوعا ويموتون بردا وكمدت وغما...

فوالله عنهن غدا ليسألنه
يوم تكون الأعطيات جُنه
فيساقون إما إلى نار أو إلى جَنة

وختاما... يبدو أن الانقلابيين سوف يخرجون من «المولد بلا حمص» على رأي إخواننا في مصر الحبيبة... وإن غدا لناظره قريب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ارتسامات سائح في بلاد محمد الفاتح (الأخيرة)

خاتمة للتاريخ والعبرة

بنبض القلب

ذ: أحمد الأشهب

(... أيها السادة أعضاء اللجنة، إن أوربا كلها تحتفل بانتصار النصرانية، لقد انتهى الإسلام الذي سيطر على العالم منذ 1400م، إن «كريمان خالص» ملكة جمال تركيا تمثل أمامنا نموذج المرأة المسلمة، فهاهي حفيدة سليمان القانوني تقف أمامنا ب «المايوه» ولا بد من الاعتراف أن هذه الفتاة هي تاج انتصارنا، لأنه ذات يوم انزعج سليمان القانوني من فن الرقص الذي ظهر في فرنسا فحاول أن يمنعه حتى لا يسري في بلاده، وهاهي حفيدة السلطان المسلم تقف بيننا ولا ترتدي غير «المايوه»، فلنرفع الأقداح تكريما لانتصار أوروبا) (1)، هذه كلمة ألقاها رئيس لجنة اختيار ملكة جمال أوروبا مباشرة بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة 1923 على يد مصطفى كمال أتاتورك، وإلحاقه تركيا بأوروبا بالرغم من أن 93 ٪ من أراضي تركيا تقع في القارة الآسيوية. ولكم أن تتصوروا كيف تم سلخ تركيا عن هويتها، فحتى الأذان إلى الصلاة باللغة العربية تمت مصادرته وأصبح النداء باللغة التركية، ولا نريد أن نخوض في غياهب التاريخ لكون أغلبنا يعرف كيف تم تدمير القيم التي بنيت عليها الأمة التركية، فبسقوط الخلافة، سقطت فلسطين في يد الصهاينة بعد تسليمها لهم من طرف الانتداب البريطاني الذي آلت إليه من تركة «الرجل المريض»...

واليوم بعد عودة العثمانيين الجدد نرى الأتراك يستعيدون شيئا فشيئا من هويتهم ومن طورانيتهم (2)، فإذا كان العثمانيون القدامى قد سادوا العالم عن طريق الفتوحات والبطولات، فالعثمانيون الجدد سادوا العالم بفتوحاتهم الاقتصادية وتقدمهم التكنولوجي، وأعادوا لتركيا مكانتها وقوتها حتى غدت من بين العشرة الأوائل على الصعيد العالمي، وأصبح صندوق النقد الدولي مدينا لها، إن الزائر لتركيا ولاستمبول خاصة لا بد أن يقف عن كثب على الطفرة الاقتصادية التي عرفتها البلاد بعد العقدين الأخيرين، وأن يأخذ منها العبرة، بدل أن يصرف وقت رحلته في التسكع في الأسواق والبازارات... من المفارقات التي سجلتها أثناء رحلتي، ونحن في طريق عودتنا إلى المطار للرجوع إلى ديارنا، أن الدليل السياحي المشرف على رحلتنا طرح علينا سؤالا بسيطا : ماهي الكلمات التركية التي حفظتموها خلال وجودكم بتركيا؟ فارتفع أكثر من صوت من بيننا : إندريم.. Inderim.. فضحك الدليل وضحك السائق، لأن كلمة إندريم تعني باللغة التركية «تخفيضات» وهي الكلمة التي طليت بها كل واجهات المحلات التجارية، وإذا ظهر المعنى فلا حاجة للتكرار، ودمتم سالمين.

---

1 – من مقال للكاتبة أميمة الجلاهمي، عن موقع «إسلام واي».

2 – الطورانية، نزعة قومية تركية.

جثمان الضاري يوارى الثرى في الأردن

شيع آلاف العراقيين المقيمين في العاصمة الأردنية ومعهم آلاف من الأردنيين واللاجئين السوريين زعيم هيئة علماء المسلمين بالعراق الشيخ حارث الضاري إلى مثواه الأخير في مقبرة سحاب الإسلامية شرق عمان. وصلي على الشيخ الذي لف نعشه بعلم العراق القديم (المعتمد خلال عهد الرئيس الراحل صدام حسين) في مسجد الحسين غرب عمان، وهو المسجد المشيد قرب قصر الحسينية حيث مقر إقامة ملك الأردن عبد الله الثاني.وتوفي الضاري بعد معاناة مع المرض، وكان قد انتقل إلى الأردن منذ احتلال العراق عام 2003، ورفض الانخراط في العملية السياسية على مدى السنوات الماضية.وقدمت السلطات الأردنية تسهيلات كبيرة من أجل نقل جثمان الشيخ الذي وافته المنية الخميس الماضي في تركيا، ووفرت لمراسم التشييع ترتيبات لوجستية وحراسات أمنية رفيعة.

مداهمات واغتصابات ضد الروهنجيا في أراكان

أفاد مراسل وكالة أنباء أراكان أن مجموعات من القوات البورمية تنتشر منذ عدة أيام في عدد من المدن والقرى الروهنجية في أراكان مثل بوسيدونغ وراسيدونغ وخير عدن، وتقوم بإحداث الفوضى والشغب ونشر الخوف بين الأهالي والاعتداء عليهم في الطرقات ومنعهم من الحركة والتنقل والخروج من بيوتهم للبيع والشراء؛ ما جعلهم يواجهون صعوبات معيشية في كسب القوت وتوفير لقمة العيش وفقا للمراسل، مضيفا أن هذه الحوادث تأتي على خلفية رفضهم الخضوع لعمليات التفتيش التي تنفذها السلطات البورمية بهدف سحب البطاقات البيضاء من الروهنجيين لمنعهم من المشاركة في التصويت المزمع إجراؤه خلال الأشهر المقبلة حول تعديلات دستورية مقترحة. وبين المراسل أن العديد من البيوت الروهنجية في المناطق المذكورة تخلو من رجالها بعد فرارهم إلى الأدغال والغابات خوفا من تعرضهم للاعتقال والتعذيب، مشيرا إلى أن القوات البورمية تستغل هذا الوضع في مداهمة البيوت واغتصاب النساء ليلا.

يشار إلى أن السلطات البورمية ترفض باستمرار الاعتراف بحق المواطنة للروهنجيا رغم المناشدات والضغوطات الدولية التي تواجهها في هذا الخصوص.

وثائقي يناقش انجذاب النساء غير المسلمات للإسلام

انتهى المخرج فاضل سليمان من العمل على فيلم وثائقي يناقش حقيقة أن معظم المهتدين الجدد إلى الإسلام هم من النساء، على الرغم من أن معظم الهجمات على الإسلام تدور حول التمييز والاضطهاد ضد المرأة.

ويتخلل الوثائقي «Islam in Women» مقابلات مع 12 امرأة اعتنقن الإسلام، ونساء غير مسلمات، وأساتذة في جامعة الأزهر المصرية وهارفرد البريطانية.

ويكشف الوثائقي أسرار انجذاب النساء للإسلام أكثر من الرجال، ويدحض الكثير من المفاهيم الخاطئة حول المرأة في الإسلام.

وتم تصوير الفيلم مع نساء من مختلف الخلفيات العرقية، البيض والسود والهنود والصينيين، ومن مختلف الدول، بما في ذلك بلجيكا وبريطانيا واليونان وإندونيسيا وهونغ كونغ وسيريلانكا وألمانيا والولايات المتحدة وهولندا والسويد

فلسطين – حماس: نفاوض الاحتلال عبر البندقية فقط

«وصفت حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، حديث فصائل منظمة التحرير الفلسطينية عن مخطط بين الحركة والاحتلال الإسرائيلي لفصل قطاع غزة عن باقي الأراضي الفلسطينية وتثبيته كـ «كيان مستقل»، بأنه «محض مهاترات إعلامية».

وكان ممثلين عن فصائل منظمة التحرير قد اتهموا في تصريحات منفصلة، حركة حماس بأنها «تسعى وبدعم أوروبي ودولي إلى إقامة كيان مستقل في قطاع غزة وفصله عن بقية الأراضي الفلسطينية، ممّا يعزز إلغاء حل الدولة المستقلة على حدود الأراضي المحتلة عام 1967، والذي يسعى مشروع المنظمة لإقامتها»، وفق قولهم.وقال القيادي في حركة «حماس» إسماعيل رضوان: «هذه مهاترات إعلامية يرددها قادة فصائل المنظمة بتوجيهات مباشرة من رئيس السلطة محمود عباس، وهي محاولة لوقف التحرك الأوروبي الذي أدان السلطة لتعطيلها عملية إعمار غزة ورفع الحصار عنها».

وأضاف رضوان في تصريحات لوكالة «قدس برس»، «معروف أن موقف حركة حماس واضح بأنها لا تفاوض الاحتلال إلا من خلال البندقية ولن تكون صديقة له».

فرنسا: غرامة على مسلمي مدينة مونتارجي لتوزيعهم الورود

حرَّر رئيس بلدية «مونتارجي» الفرنسية محضرًا لأعضاء «جمعية مسلمي المدينة»؛ وذلك لتوزيعهم ورودًا على المارَّة بالمدينة يوم السبت الماضي.

ومع ذلك كانت المبادرة جديرة بالاهتمام؛ لأنه كان عملاً منظمًا لتحطيم الأفكار المسبقة عن الإسلام والمسلمين، فلم تحصل المبادرة على تصريح من البلدية.

ورفض العمدة الإذن بالحدث، معتبرًا أنه من التبشير الديني على الطريق العام، موضحًا أنهم تَحَدَّوْا الحظر، ونتيجة لذلك حددت الشرطة الوطنية هُويات الجُناة وحرَّرت محضرًا لهم، ويواجه المخالفون عقوبة الغرامة.

وقررت الجمعية – الفرع المحلي للاتحاد الإسلامي – تنفيذ هذا العمل في سياق ارتفاع الأعمال المعادية للإسلام منذ هجمات يناير، وسيسمح توزيع الورود بفتح الحوار مع المارة حول الإسلام.

وقد نُظِّمت احتجاجات مماثلة من قِبَل الفروع المحلية للاتحاد الإسلامي في أوروبا، كما نظِّمت جمعيات محلية أحداثًا مماثلة في «فرنسا» وفي «بلجيكا».

المغرب : بحث ساخن لتقنين الإجهاض

فتحت وزارة الصحة نقاشا وطنيا عن الإجهاض ترتب عنه تباين كبير بين مؤيدي الإجهاض من المنظمات الحقوقية والتوجهات العلمانية في البلاد وبين العلماء حيث اعتبرت الجهات المناصرة للإجهاض أن المرأة لها الحق في الممارسة الجنسية الحرة بناء على المواثيق الدولية ولها الحرية في اختيار أن تحمل أو لا تحمل ، والحق في الإجهاض ،بدون مراعاة للضوابط الأخلاقية ولحق الجنين في الحياة ولاحترام الثوابت الشرعية الإسلامية.

فقد اعتبر الدكتور مصطفى بن حمزة الإجهاض اعتداء على حق الجنين في الحياة وأن حق الجنين في الحياة مقدم على كل الحقوق، وتناقلت صحف الأسبوع والمواقع الإلكترونية الخبر، كما خصصت له جريدة التجديد ملفا خاصا (الجمعة 2014/03/13)، ويظهر أن الجدال مقبل على مزيد من التطور الفقهي والقانوني.

الخبر الصحي

لقشور الفواكه فوائد غير متوقعة ..

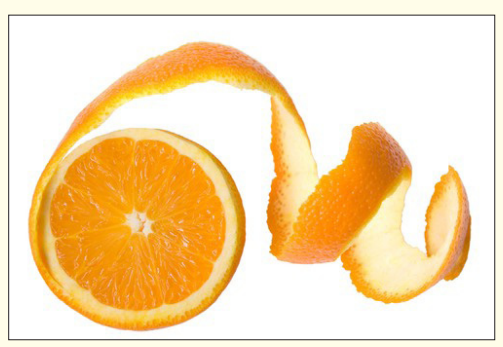

لقشور الفواكه فوائد غير متوقعة ..

يوجد الكثير من الفوائد والكثير من الأسرار تكمن في قشور الفواكه حيث الوصفات العلاجية والجمالية الفريدة، نقدم هنا مجموعة وصفات بسيطة وذات مفعول سحري مستوحاة من فوائد قشور الفواكه .

● **قشر الموز :**

قد لا يعلم كثيرون كمية الفوائد التي تكمن في قشور الموز وتحديداً الجانب الداخلي من القشرة، علاجياً عند وضع قشور الموز فور تقشيرها من الجهة الداخلية على الرأس لمدة ربع ساعة تسهم وبشكل كبير في تخفيف الصداع النصفي. كما سبق واستخدمها سكان جزر الباهاما منذ القدم لمعالجة ارتفاع ضغط الدم وذلك بشرب مغلي قشر الموز.

ولكن يمكن الاستفادة من قشور الموز بتبييض الأسنان وإليك الطريقة:

تفرك الأسنان جيداً بقشرة الموز الطازجة فور تقشيرها من الجهة الداخلية، فتسهم المواد والعناصر المتوفرة بالقشرة كالبوتاسيوم والمغنيسيوم بتبييض الأسنان.

● **قشر الليمون :**

يتسم قشر الليمون برائحته المنعشة، إلى جانب كونه معقما، والأهم يمكن الاستفادة منه جمالياً في تفتيح بعض الأماكن الغامقة في الجسم كالأكواع مثلاً.

وأيضاً يعتبر قشر الليمون مطهرا للفم و يمنح الفم رائحة منعشة، ولكن يجب تناول قطعة بسيطة منه لأنه قوي وقد تضر كثرته بالطبقة الواقية للأسنان.

وللرشاقة فإن شرب فنجان صغير من مغلى قشر الليمون بعد الأكل بنصف ساعة يسهم في تخليص الجسم من الدهون الزائدة.

● **قشر الخيار :**

للخيار وقشوره فوائد كبيرة جداً للجهاز الهضمي، أما جمالياً ففوائده ترتبط بالحفاظ على صحة الجلد ومرونته وحيويته.

أسهل طريقة للاستفادة من قشر الخيار، هي استخدامه مباشرة بوضعه على الوجه بحيث تكون الجهة الداخلية للقشرة ملامسة للبشرة.

مفيد للبشرة ومفيد أيضاً للمنطقة المحيطة بالعيون، والخيار من أكثر العناصر الآمنة على العيون ويمكن استخدامه على العيون مع الاسترخاء بعد يوم مرهق ومتعب أمام شاشة الكمبيوتر فيريح البشرة ويخفف الانتفاخ ويحد من الهالات السوداء.

ويمكن استخدامه بسهوله من قبل الرجل والمرأة على حد سواء.

شـــؤون صغيـــرة

يلتقطها د. حسن الأمراني

درس من جورجي زيدان

في أوائل القرن العشرين كانت المعارك تحتدم بين المفكرين والأدباء، وكانت تبلغ من العنف أحيانا حدا كبيرا. وكان بعضها ذا طابع أدبي ثقافي خالص، وبعضها ذا طابع اجتماعي أو سياسي. وكأن تلك المعارك كشفت لنا عن أننا قوم لا نعرف الاعتدال. فنحن إذا أحببنا تطرفنا في الحب، وإذا أبغضنا تطرفنا في البغض، وننسى أو نكاد ننسى التوجيه النبوي الشريف: (أحبب حبيبك هونا ما.... وأبغض عدوك هونا ما...). ومن الملاحظ أن ذلك العنف كان يظهر حتى بين طرفين يمثلان تيارا مذهبيا فكريا واحدا، مثل ما كان بين العقاد والرافعي، فكلاهما ينتصر للإسلام والثقافة الإسلامية، وإن كان العقاد ينتصر للتجديد والرافعي ينتصر للمحافظة. وقد أسفر ذلك العنف في القول عن آثار منها كتاب الرافعي: (على السفود)، حيث يسعى إلى أن يشوي العقاد على سفوده شيا.

وكثيرا ما كان التجديد مقترنا بالإقبال على الغرب، والمحافظة متمثلة في المحافظة على الأصول. ومن تلك المعارك المشهورة ما دار حول المرأة، ولاسيما بعد ظهور كتاب قاسم أمين:(تحرير المرأة)، حيث لم يبق قلم شاعر أو كاتب إلا كان له في القضية نصيب. وأهل العلم يعرفون أن الكتاب أصلا إنما هو للشيخ محمد عبده، ولكن قاسما كان القناع الذي ظهر من خلاله. وكان من شأن ظهور الكتاب باسم الشيخ محمد عبده أن يثير زوبعة أعظم، إذ كان الشيخ ممثلا للأزهريين، وإن لم يتول المشيخة، والأزهر بطبعه - في العصور المتأخرة - أحرص على المحافظة، أو أحرص على السير في ركاب الحكام، وكان يفترض فيه أن يكون حصن المجتهدين. وإذا فحصنا كتاب (تحرير المرأة) وجدنا أنفسنا لا نطلب للمرأة المسلمة أكثر مما طلبه هذا الكتاب، وإن كان قاسم أمين في كتابه التالي) المرأة الجديدة) قد ذهب شوطا بعيدا، وخرج على بعض الأصول، واتخذ المرأة الغربية مثالا. وقد جاء المرحوم عبد الحليم أبو شقة في كتابه: (تحرير المرأة في عصر الرسالة)، بما لم يأت به قاسم أمين، ولكن من خلال القرآن الكريم والصحيحين، ولكن أكثر الناس لا يقرؤون.

وقد انشق الناس - أعني أهل الشأن - فريقين في تلك القضايا، وصدرت أحكام على هؤلاء وهؤلاء، وبلغ الأمر حد التفسيق أو التكفير، وبقيت الأجيال بعد ذلك تردد تلك المقولات دونما نظر فعلي، وقد قرأتْ شيئا عن الأعلام، ولم تكد تقرأ شيئا للأعلام. وشهدنا في العهد الأخير بعض المحاولات التي تسعى إلى الإنصاف من خلال إعادة قراءة تراثنا الحديث، مثل ما فعل الدكتور محمد عمارة الذي أراد أن ينهي الجدل القائم حول طه حسين منذ حوالي قرن من الزمان، فكتب كتابه: (طه حسين من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام)، وقد قال أهل العلم الأول: (المعاصرة حجاب)، فما أحرانا أن نعيد النظر في ذلك التراث الحديث بعيوننا لا بعيون الآخرين، وإن علا شأنهم وكبر قدرهم، وأن نتحرر من بعض الأحكام الجاهزة التي أملاها التعصب وليس الحق، وقد قال شوقي:

صور العمى شتى وأعظمها إذا
نظرت بغير عيونهنّ الهـامُ

لقد شاع رأي بين المنتصرين للإسلام أن جورجي زيدان قبطي تبشيري حاقد على الإسلام، وأن رواياته التي سماها: (روايات تاريخ الإسلام)، شاهدة على منهجه الذي يقوم على الدس والكيد والنيل من رموز الإسلام وأبطالهم، حيث يصورهم متهالكين على متع الحياة الدنيا الرخيصة، فمنع ذلك كثيرا منا أن يطلع - مجرد اطلاع - على تراث هذا الكاتب، عسى يجد وسط الزؤان جوهرة.

والحكمة ضالة المومن، أنى وجدها فهو أحق بها، وطلب العلم فريضة ولو كان مرجعه إلى الصين، والتقصير في طلب العلم خطيئة.

إن مناسبة هذا الحديث هو عودة إصدار كتاب جورجي زيدان: (رحلة إلى أوربا)، وهو كتاب يتخذ موضوعا له رحلة قام بها الكاتب عام 1912 إلى كل من فرنسا وبريطانيا وسويسرا، وقد قال في التمهيد: «وتوخينا النظر - على الخصوص - فيما يهمّ قراء العربية من أحوال تلك المدنية التي أخذنا في تقليدها منذ قرن كامل (ونقول اليوم: منذ قرنين كاملين)، ونحن نتخبط في اختيار ما يلائم أحوالنا منها...

ونقتصر من ذلك على ما يهمّ القارئ الشرقيّ من حيث حاجته إلى تحدّي مدنية أولئك القوم في نهضتهم هذه، ونبين ما يحسن أو يقبح من عوامل تلك المدنية بالنظر إلى طبائعنا وعاداتنا وأخلاقنا». (ص. 5 من الكتاب)

فلم يكن حديث جورجي زيدان عن رحلته تمجيدا للمدنية الغربية فقط، بل كان نظرة فاحصة تراعي الاستفادة منها بما لا يخالف عاداتنا ومقوماتنا. كما أنه سجل في رحلته السلبيات التي تطبع مدنية الغرب، وحذر من اتباعها. ومما لا شك فيه أنه كان معجبا بنابليون بونابارت وما خلفته حملته على مصر من نهضة علمية وفكرية وأدبية، إلا ان ذلك لم يمنعه من تسجيل بعض سلبيات تلك الحملة. وقد أنهى الفصل الخاص بفرنسا بخلاصة، أحب ان أشرك القارئ فيها لأهميتها، فأعطي القوس باريها. قال:

(في مدنية فرنسا وغيرها من مدنيات أوربا حسنات كثيرة يجب علينا اقتباسها والاستفادة منها، ولكن فيها سيئات يجب تجنبها والابتعاد عنها. فالحسنات التي يحسن بنا اقتباسها هي:

1 - معرفة الواجب.
2 - المحافظة على الوقت وصدق المواعيد.
3 - تهذيب أخلاق العامة بالتربية الصحيحة.
4 - تعليم المرأة وتثقيفها.
5 - ترقية التعليم والتوسع في الآداب.
6 - العمل والجد.

أما ما يجب علينا تجنبه من أدران تلك المدنية فاهمّه:

1 - الإفراط في الحرية واستخدامها في غير موضعها.
2 - ما يخالف الحشمة الشرقية، على أن نأخذ من العلم والتربية القدر الملائم لعاداتنا.
3 - الفتور في الدين والمجاهرة في الكفر، فإنه من أسس ذلك الخراب.

فبالله عليكم يا أهل الحق، أتجدون نصيحة تنفعنا، تتعلق بالمدنية الغربية وواقعنا الإسلامي المعاصر، أفضل من هذا الذي سطره جورجي زيدان في رحلته إلى أوربا؟

جورجي زيدان :
«ما يجب علينا تجنبه من أدران مدنيات أوروبا أهمّه:
1 . الإفـراط في الحرية واستخدامها في غير موضعها.
2 . ما يخالف الحشمة الشرقية، على أن نأخذ من العلم والتربية القدر الملائم لعاداتنا.
3 ـ الفتور في الدين والمجاهرة في الكفر، فإنه من أسس ذلك الخراب.»

إلى أن نلتقي

نظرات في إصلاح التعليم (14)

كليات الآداب ودورها في التنمية

لم تكن كليات الآداب في العصر الحديث في يوم من الأيام جزءا أساسيا من مشكلات التعليم العالي، ولا عقبة في الإصلاح أو التنمية، وإنما كان لها الدور الأكبر في ذلك على الأقل من خلال ما تبوأه خريجوها من مناصب في مختلف هياكل الدولة، وفي كل القطاعات العامة والخاصة على السواء. والناظر بعين فاحصة إلى الواقع الحالي يجد أن العديد من الطلاب الذين كانوا مسجلين بالكليات العلمية بل وتخرجوا فيها قد أعادوا الكرة في كليات الآداب وسجلوا فيها من جديد ليتخرج العديد منهم بشواهد عليا، وبعضهم الآن أساتذة في هذه الكليات يشهدون على ذلك بكل وضوح.

ولم يكن ما يدرس في كليات الآداب من علوم ومعارف، في يوم من الأيام على امتداد التاريخ جزئا من أي مشكل أيضا، بل كانت الثقافة الأدبية بتنوعاتها جزءا أساسيا من التكوين العلمي، إذ أنه في تاريخنا الإسلامي، لا بد للطبيب والمهندس وعالم الفلك وغيرهم من ثقافة أدبية تؤهلهم لغويا وفكريا ومعرفيا للمشاركة في مجالس العلم والمعرفة التي كانت تعقد هنا وهناك. ويمكن أن ننظر على سبيل المثال إلى ابن البناء العبدي المراكشي عالم الرياضيات والطب والفلك، الذي كان على دراية واسعة بفنون اللغة العربية وبالفقه والحديث. ولذلك فإنه كما ألف في الرياضيات والفلك، ألف في العربية وفنونها، فكان من ذلك كتابه القيم المشهور "الروض المريع في صناعة البديع".

كيف يمكن أن تكون المشكلة في كليات الآداب وهي الحارسة الأمينة، على صلب ما ورد من قوانين منظمة للتعليم العالي بما في ذلك القانون 0000 وخاصة في المشروع المقترح لمراجعته في المادة 1(مكرر) المتعلقة بالمبادئ والمرتكزات الأساسية التي ورد فيها أن من هذه المرتكزات "التمسك بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الروحية والأخلاقية القائمة على الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار..." والتنشئة على التشبث بالهوية المغربية الموحدة، والثوابت الوطنية الراسخة بروح الانتماء الوطني..." و"العمل على تطوير وتنمية التدريس باللغة العربية في مختلف ميادين التكوين والبحث، وعلى إدماج اللغة الأمازيغية في مجال التعليم، مع الحرص على تعلم وإتقان اللغات الأجنبية الأكثر انتشارا...".

كل ذلك لا يمكن أن يؤتي ثماره إن كانت كليات الآداب غائبة أو مغيبة عن دورها في التنمية، أو غير حاضرة بقوة لأداء هذه الأدوار المهمة، فشعب اللغات وفي مقدمتها شعبة اللغة العربية وشعبة الدراسات الإسلامية وشعبة التاريخ والجغرافية وغيرها من الشعب لها الدور الأكبر في الحفاظ على اللغة العربية وعلى الهوية الوطنية وفي الانفتاح على اللغات العالمية والثقافات الأخرى.

صحيح أن كليات الآداب تتخبط في مشاكل عديدة تتعلق بالتكوين وآفاق العمل بالنسبة للخريجين، لكن في اعتقادي ليست الوحيدة في هذا الباب فالكليات الأخرى ذات الاستقطاب المفتوح تعيش في المشاكل ذاتها.

لكن المشكل الأساسي في نظري بالنسبة لكليات الآداب هو مشكلة التوجيه الذي يبتدئ من المرحلة الأولى للثانوي، إذ لا يُوجَّه ولا يتوجه نحو الشعب الأدبية إلا الضعاف من التلاميذ الذين لم يحصلوا إلا على معدلات متدنية.. إلى درجة أن بعض المؤسسات الإعدادية قد لا يتوجه منها أي واحد نحو التوجه الأدبي لأن المعدلات تكون كلها عالية. وهذا هو الغريب حقا.

نعم هو الغريب، إذ كيف أن ينتظر من قطاع اسمه : كليات الآداب، لا يُوَجَّه إليه إلا الضعاف أن يؤدي دوره بصورة كاملة ويحقق ما هو مرسوم له مما سبقت الإشارة إليه...

لا يمكن على الإطلاق، وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل كلية الآداب عاجزة عن أداء دورها المنوط بها بشكل كامل، وهذا يعني أن المشكلة لا تتعلق بكليات الآداب من حيث هي، ولكن بالمُخرَجات التي تؤدي إليها. والتي ينبغي أن يعاد فيها النظر جملة وتفصيلا.

د. عبد الرحيم الرحموني